الفصل الرابع

الرسالة والرسول ﷺ

obeikandl.com

obeikandl.com

عالم الغيب:

إن الإيمان بالغيب يعني أن المؤمن لا يقتصر وعيه على العالم الفيزيائي المشهود، بل يعتقد بوجود عالم آخر غير مرئي هو عالم الغيب، وإليه يشير اصطلاح: «ما وراء الطبيعة» أو«الميتافيزيقيا» لكن الاصطلاح الفلسفي يظل غامضًا ومضطربًا أمام وضوح الاصطلاح الديني، فالمسلم يعتقد بوجود الله خالق الكون والحياة، وأنه يرسل رسلاً يوحي إليهم بالرسالات التي تنظم حياة الإنسان على الأرض، وتحدد القيم الأخلاقية المطلقة، وتجعل أتباعها يدينون لله بالعبودية، والعبودية لله لا تعني شل إرادة الإنسان ولا تقييد طاقاته، ولا إذلاله، بل هي منطلق لتحرره من عبادة المخلوقات إذ (لا إله إلا الله)، وهي تبصير له وتفتيح لوعيه على حقيقته وحقيقة الوجود، فلا يتضاءل فيحس بأنه ذرة في فلاة، لا أهمية لها ولا غاية، ولا يستعلي فيحس أنه «الإله الخالق»، كما يعبر الماركسيون والماديون في القرن العشرين، وهم يحسبون أنهم بنفي «الله» وإثبات الخلق للإنسان يعلون من قدر الإنسان ويحررونه، ويجعلونه مصدر القيم النسبية المتغير في الزمان والمكان تبعًا لرقي الإنسان وتغيره المستمر. وبذلك يكلون الإنسان إلى نفسه وطاقاته، ويحرمونه من رعاية الله ونور رسالاته، ويكبتون روحه عندما يمنعونها من الاتصال بخالقها ويحصرونها في عالم ضيق مظلم هو عالم المادة. وقد وصف الله تعالى المؤمنين المتقين بأنهم يؤمنون بالغيب، فقال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾[1].

وعالم الغيب الذي يؤمن به المتقون يشتمل على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى. ولا يسمى

(١) البقرة: ١ - ٣.

مؤمنًا إلا من آمن بهذه العقيدة كاملة، فلا يسعه أن يؤمن ببعضها وينكر بعضها الآخر.

والإسلام هو الدين الخاتم لرسالات الله تعالى إلى الإنسان، وهو الرسالة الخالدة مدى الحياة، وهو يهدف إلى تبصير الإنسان بخالقه وبذاته وبعالمه وبمصيره، في حين تسعى الأدبيات الإنسانية من فلسفة وعلم اجتماع وانثروبولوجي ونفس وسياسة واقتصاد وأدب شعري ونثري قصصي ومسرحي إلى تبصير الإنسان بذاته وعالمه فقط إلا تلك الأدبيات المتأثرة بالفكر الديني والمستوحية لرسالات الله فإنها تبصر الإنسان بالخالق وبالمصير.

وفي عالم اليوم تركزت الأدبيات الإنسانية على ذات الإنسان وعالمه المادي، وتهمل إلى حد كبير قضية المصير والعلاقة مع الخالق، وهو اتجاه محكوم بالفلسفات المادية التي لا تؤمن إلا بالمادة والمحسوس، والتي تنكر عالم الغيب وتتنكّر له، ولا ترى في المصير إلا العودة إلى تراب الأرض عودة نهائية، ليس وراءها بعث ولا نشور ولا حساب ولا عقاب ولا جنة ولا نار.

وهكذا عاش إنسان القرن العشرين داخل نفسه وداخل حدود العالم المادي الضيقة، لا يضيء قبسُ الإيمان إلا نفوسًا قليلة، ولا يعيش تجارب الروح إلا عدد محدود، ولا يتطلع إلى الله وما عنده من رحمة ورضوان في الدنيا والآخرة إلا صفوة من الخلق، وقليل ما هم.

إن الناظر في كتاب الله تعالى وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام يدرك أن الإسلام أعطى مساحة واسعة من نصوصه للتعريف بالخالق ﷻ وما يحبه ويرضاه، وما يبغضه وينهى عنه، وبين الأمر والنهي الإلهيين تقع سياسات المجتمع والثورة، فتتحدد خصائص الدولة وقيم الاقتصاد وسنة الاجتماع،

وتتضح علاقة الإنسان بالإنسان، والرجل بالمرأة. وهنا تبرز تفصيلات كثيرة دقيقة وجليلة، لتحديد العلاقات الاجتماعية ضمن أحكام الشريعة التي تمثل إرادة الله تعالى في شؤون خلقه.

ولكن ما الذي يدعو الإنسان إلى الوقوف عند أحكام الشرع، والتماس رضا الله والبحث عن مراداته ومنهياته؟

هل يكفي أن يعرف الإنسان عظمة الخالق وقدرته وكمال صفاته؟ وهل يكفي أن يطلع على أمره ونهيه، ليلتزم بشرعه في شؤون حياته؟

أم لابد أن يتربى الإنسان وفق منهج معين، يرتكز على توثيق الصلة بالله نظرًا وعملاً، فكرًا وتطبيقًا. ويقوم بالإشراف على هذه التربية أساتذة المنهج الرباني. إن مطالعة التاريخ تبرز أن المنهج الإلهي تعاقب الأنبياء على تربية الناس وفقه، وهذا المنهج يتعامل مع النفس الإنسانية فيغرس فيها الخوف والرجاء الخوف من الله تعالى وعقابه، والرجاء في رحمة الله ورضوانه ونيل ثوابه، وقد استقامت نفوس الملايين من البشر على العقيدة الصحيحة والسلوك الصالح عبر التاريخ، عندما توازنت معاني الخوف والرجاء في نفوسهم. وعندما يستقيم الإنسان ويستبصر بالرؤية الإيمانية الصادقة فإن حياته ترقى حضاريًا فيتوخّى السلوك الراقي مع عالمه، يعاون الإنسان، ويرفق بالحيوان، ويحافظ على خيرات الأرض، ويمنع التلوث عن البيئة، ويرشد الاستهلاك، وينظم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وفق معايير العدل والحق والمساواة والحرية والكرامة.

لا غرابة إذا عندما يعطي الإسلام مساحة واسعة للتعريف بالخالق وعظمته وقدرته المطلقة، ولا غرابة حين يجعل منهجه التربوي يقوم أساسًا

على تكوين الإنسان الصالح بغرس التقوى ومعانيها في قلبه، وأداتا المنهج في تحقيق التقوى هما الخوف والرجاء، قال تعالى في وصف المؤمنين الصادقين: ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾[2]. ووصف تقلبهم بين الخوف والرجاء في الآية: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[3]، وقال تعالى كاشفًا عن العلة في ثوابه ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾[4].

وغرس الخوف من الله في قلب المؤمن إيجابي في ثمرته، خلافًا للخوف من غير الله من قوى الطبيعة ومظاهر الكون، فإن الشجاعة في مواجهتها والإفادة من تسخيرها للإنسان، وذلك بإخضاعها لعلمه وصناعاته وإنتاجه. واجتناب الظن بأنها تملك قدرةً وإرادةً وتأثيرًا على مجريات الأحداث في الحياة، كما كان يظن قدامى اليونان عندما سيطرت عليهم أفكار التوهم والتخيل، فنسبوا لمظاهر الطبيعة صفات الألوهية، وعبدوها من دون الله، فللبحر إله، وللخصب إله، وللرعد إله، وللعواصف إله، وللحب إله وللجمال إله، حتى إن الآلهة العديدة التي اعتقدوها سلبت الإنسان كل سلطان، فما هو إلا ذرة في مهب الرياح الهوجاء، لا قدرة له على الثبات والمواجهة، بل هو خاضع للحتميات القاهرة، التي تفرضها إرادات الآلهة المتعارضة.

---

(١) الأنبياء ٤٩.

(٢) الرعد ٢١.

(٣) الأنبياء ٩٠.

(٤) إبراهيم ١٤.

لقد جرد الإسلام الإنسان من خوف الطبيعة الصماء، ومن خوف الأحياء الضخمة والقوية، ومن خوف بعض بني جنسه، عندما وضح له حقيقة الأشياء، ومنعه من السقوط في عبودية غير الله. بل إن الخوف من الله تعالى عودل بالرجاء، لئلا يسقط الإنسان فريسة القنوط والاكتئاب، ولئلا يشل الخوف طاقته، ويعطله عن العمل المثمر والإنتاج النافع، فكانت آيات الرجاء تبعث الأمل في نفوس المؤمنين، وتدفع إلى العمل، وتقاوم اليأس بل تحرمه ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

لقد اهتم الإسلام بتوجيه أتباعه نحو التفكير التأملي في ظواهر الكون وقوانين الحياة، فملاحظة الظواهر الطبيعية ورصدها هي أولى مراحل التفكير العلمي المنظم.

قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[2]. وقد تبدو بعض الظواهر غامضة، لا تعرف أسبابها وعللها، وقد يحاول الإنسان تعليلها عقليًا قد لا يوفق فيه، ومن هنا فإن الإسلام وهبه بعض القواعد والتفسيرات التي تعينه على فهم الكون والحياة، وتمنعه من الانحراف في تفسير ظواهر الكون والحياة تفسيرًا يفسد عقيدة التوحيد، أو يقود إلى الخرافة والأساطير، التي تعشعش في العقل وتحرفه عن التصور السليم، ومن هنا بادر رسول الله ﷺ لتصحيح تصور بعض الصحابة إزاء ظاهرتي الكسوف والخسوف، حيث اعتقدوا أن خسوف الشمس والقمر يتعلق بموت إبراهيم ابن الرسول عليه الصلاة والسلام، فبين لهم رسول الله ﷺ أن ظاهرتي الكسوف والخسوف علامتان وآيتان من آيات الله،

---

(١) الأنبياء ٩٠.

(٢) يس ٣٨.

تشيران إلى إسلام الشمس والقمر لله بخضوعهما للقانون الفلكي الذي يحكمهما، وأن لا علاقة لما يحدث في الأفلاك وعالم النجوم بما يقع من أحداث إنسانية على الأرض، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما آيتان من آيات الله، فإذا رأيتموهما فصلوا»[1]. وهكذا يظهر المؤمن سجوده لخالقه وخضوعه الإرادي لمن تخضع له السموات والأرض طوعًا وكرهًا.

وبذلك وضع الإسلام حدًّا لكل ما يتعلق بعلم التنجيم القائم على تأثير الكواكب على أحداث الأرض، ومن ثم الإفادة من رصد الأفلاك في التنبؤ بأحداث المستقبل التي تقع للأفراد والجماعات. وما أكثر المتشبثين بالتنجيم عبر تاريخ البشرية الطويل، بل وما أكثرهم في عالم اليوم برغم انتشار الوعي والعلم، بل قد نجد من المثقفين والعلماء المتخصصين في علوم الطبيعة والفلك والرياضيات وأنواع العلوم الدقيقة من يتقبل عقله أفكار التنجيم والتنبؤ بالمستقبل. ويبدو أن الإنسان مستعد للتعامل مع عالم الغيب بطريقة بعيدة عن المنطق وقيم العلم، مهما بلغ من مكانة في علوم الدنيا، وأن العقيدة الإسلامية هي سبيل النجاة من الوقوع تحت تأثير الأساطير.

لقد حددت العقيدة الإسلامية مجالات الغيب، التي أتاح الوحي الإلهي للإنسان التعرف عليها، وسدت ما سوى ذلك. فليس على الإنسان إلا التحرك الواعي في التعامل مع «الغيب» من خلال نافذة الوحي الإلهي، التي جعلته يطل على الإلهيات والروحانيات والسمعيات والنبوات، دون أن يقع تحت سلطان الخرافات أو استغلال المشعوذين والسحرة. يقول المفكر «كولن ولسن» في كتابه «الإنسان وقواه الخفية»: «لا تستطيع الحضارة أن تتقدم إلى

(١) صحيح البخاري ٤/ ٧٦ ط. استانبول.

أبعد مما وصلت إليه، حتى يسلم الناس بقوى الغيب غير المنظورة تسليمًا بديهيًّا على مستوى تسليمهم بالطاقة الذرية». ولكن هذا المفكر يدعو إلى استخدام قوى الإنسان «الكامنة في لا وعيه» لإحداث الاتصال بعالم الغيب، وهو ما يسميه بعلم السيطرة والاتصال - أو السبرناطيقا اصطلاحًا -، والذي كشف عن حقيقة أن ثمة برمجة تتخلل الطبيعة بأسرها[١].

وبعد دراسة عميقة لكل مكتشفات علم السبر ناطيقا قال ولسن - وهو فيلسوف وجودي بريطاني -: «قد أقنعتني - يعني الأدلة - بأن المزاعم الأساسية للنزعة الغيبية، هي مزاعم صحيحة، ويبدو لي أن حقيقة الحياة بعد الموت قد أصبحت قائمة بعيدة عن متناول أي شك معقول»[٢].

إن العقول البشرية غالبًا ما تتسم بالسذاجة، ويسهل خداعها وغشها من قبل السحرة والمحتالين، ومن ثم فإن خواص العقل هذه جعلت الكثيرين من أبناء هذا القرن، وبدافع الإحساس بالعقم والضجر اندفعوا نحو إحياء الاهتمام بالعالم الغامض وبالوسائل السحرية، بعد أن ظن العلماء منذ القرن السادس عشر الميلادي أن عصر العقل قد بزغ، وأن عهود السحر قد ولَّت[٣]. ويقول كولن ولسن: «إن انجلترا وأمريكا تضمان الآن أعدادًا من السحرة تزيد على ما كان فيها منذ عصر الإصلاح»[٤].

وهكذا فإن العلم والمدنية المعاصرة لم يتمكنا من تحرير عقل الإنسان من الخرافة والأساطير، أما الإسلام فقد قطع السبيل على المشعوذين

---

(١) كولن ولسن: الإنسان وقواه الخفية ص ٨، ١١، ١٤.

(٢) كولن ولسن: «الإنسان وقواه الخفية »ص٢١.

(٣) المصدر نفسه ص ٢٦٨، ٣٢٤.

(٤) المصدر نفسه ص ٣٨٩.

منذ أربعة عشر قرنًا، عندما قال عليه الصلاة والسلام: «الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما آيتان من آيات الله، فإذا رأيتموهما فصلوا»[١].

وفهم الصحابة والتابعون المقصود، وهو القطع بعدم تأثير النجوم في أحداث الناس والحياة، فقال قتادة السدوسي في تفسير الآية: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾: خلق - الله - هذه النجوم لثلاث؛ جعلها زينةً للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلاماتٍ يُهتدى بها، فمن تأول بغير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به»[٢].

إن عالم الغيب لا ينكشف للإنسان إلا عن طريق الوحي الإلهي، أما التعرف على القوى الكامنة في الإنسان والكون فهو لا يدخل في دائرة الغيب. فالله وحده عالم الغيب والشهادة، أما الإنسان فمجال نشاطه عالم الشهادة، ولكن الله تعالى أطلعه على قدر من عالم الغيب يوسِّع دائرة وعيه، ويلزمه في حياته الوجدانية والعقلية، ويفسح له في وجوده الذي تحده المادة، وهكذا أرسل الله الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، لنقل القدر المناسب من المعرفة الغيبية للإنسان، وفق ما حدده الله تعالى في وحيه لأنبيائه، فليس للإنسان أن يطلب علم الغيب خارج دائرة الوحي، إذ ليس له أن يبدد قواه العقلية وطاقاته فيما لا سبيل لها إليه، ومن هنا قال رسول الله ﷺ: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته» رواه البخاري في صحيحه[٣].

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ٧٦ ط استانبول.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٧٤ ط، استانبول.

(٣) المصدر نفسه.

لقد جرَّت محاولات الإنسان الذاتية أن يتصور الخالق إلى أنواع من التجسيم والتجسيد، ومن هنا أمر الرسول الكريم ﷺ بعدم التفكير في ذات الله والانصراف إلى التفكير في المخلوقات الجامدة والحية، ومحاولة التوصل إلى قوانين المادة وأسرار الطبيعة، للإفادة من ذلك كله في بناء الحضارة، أما التعرف على الله تعالى وصفاته وكيفية توحيده وعبادته فيتلقاه الإنسان عن الرسل الكرام، دون أن يجهد عقله في التصور أو الاستقراء أو الاستدلال، إلا ضمن دائرة الوحي الإلهي.

إن الإنسان المعاصر الذي يعيش في دائرة الحضارة الغربية امتلأ غرورًا وعجبًا، وصورت له الإمكانيات التكنولوجية الهائلة أنه قادر على الاستقلال بذاته، والاعتماد على تجاربه وعقله لإحراز العلم والمعرفة وتسخير الطبيعة والكشف عن أسرار الكون، وقد نسي ربه في بهرج الانتصار العلمي، بل صور له الفلاسفة الوضعيون الوجوديون والبراجماتيكيون أنه الكائن الأول الذي تخضع له الموجودات الأخرى، وما عليه إلا أن يكتشف حريته ويثق بقدرته، وفي غمرة هذا التمويه الفكري سقط الإنسان في جاهلية القرن العشرين، وبدل أن يتحرر عاد ليسقط بفعل حاجاته النفسية والروحية في براثن السحر والشعوذة.

وسبيل النجاة من أزمة الإنسان المعاصر هو العودة إلى تعاليم الوحي الإلهي، والتعرف على الله وعالم الغيب من خلاله. وبذلك يحقق الإنسان وجوده المتكامل ولا يفقد شيئًا من طاقاته، وهو يندفع للكشف عن المجهول البعيد بوسائله الذاتية القاصرة.

إن كبت الروح ومنعها من التعرف على الله - الواحد الأحد الفرد الصمد - لن يولد إلا موت الإنسان وبقاء الجسد المادي الذي لا يفضل

عن الحيوان، وهذا هو مصدر شقاء الإنسان المعاصر إنه لا يشعر باكتمال الحياة. قال عليه الصلاة والسلام: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت»[1].

وقد يرى بعض الفلاسفة والمفكرين أن تحديد العلاقة بالله أخذت حيزًا كبيرًا في تعاليم الإسلام، وأن عالم اليوم قد اتجه إلى بحث العلاقات الاجتماعية وتحديد الحقوق والواجبات، وأكد على حرية الإنسان وكرامته وتطلعاته نحو الرفاه والسعادة.

والحق أن الإسلام أكد على التوحيد وجعله محورًا للحياة، وأن أول العدل والوفاء أن يعدل المرء مع ربه، وأن يفي له بحق الألوهية، ويجرد له العبادة. فإن لم يعدل مع الرب المنعم المتفضل القادر على الحساب والثواب والعقاب، فكيف يعدل مع أمثاله من البشر؟ وإن لم يتحرر من أوهام الشرك وخرافة الخضوع لقوى الطبيعة أو للآلهة المصنوعة أو للمعتقدات الخاطئة، فكيف سيتحرر من الخضوع لطواغيت البشر، وكيف يحقق ذاته، ويحافظ على حريته وكرامته اقتصاديًا واجتماعيًا وسياسيًا؟

إن الموحد هو الرجل الحر، لأنه يعرف أن لا إله إلا الله، وأن لا أحد - كائنًا من كان - يقدر على ضره أو نفعه إلا بإذن الله.

وهكذا يعرف مكانه في الكون، ويعتز بدينه ونفسه، ويحقق الخير والحق والجمال، وقبل ذلك يحقق الغاية من وجوده.

ولن يقع المؤمن بالاغتراب الذي يصوره سارتر والبير كامي والوجوديون الآخرون، ولن ينتهي اغترابه إلى الإحساس بالضياع والتمزق

---

(١) صحيح البخاري ٧/ ١٦٨.

والعبث، ولن يحتاج إلى إثبات حريته ووجوده بإنكار وجود الله والبعد عن سلطانه، فتلك رؤى فكرية قاصرة لا تخرج عن حدود التجربة والمعاناة الإنسانية، مما يعبر عن خيبة الأمل وضياع اليقين، في حين يعيش المؤمن في رحاب واسعة ورؤى عريضة تقتبس من علم الله ونوره ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾(١).

ومهما حاول الفلاسفة والمصلحون أن يتخطوا هذا الطريق، طريق الإيمان بالله وتوحيده، وطرحوا برامج الإصلاح الاجتماعي في إطار الفلسفات المتنوعة البعيدة عن الله تعالى، فإنهم لن يحققوا الصلاح المنشود، لأن التنكر لله تعالى لن ينجب إلا الشر، ولن يزرع إلا الحقد، ولن يكون إلا شخصيات قلقة تفتقد مقومات الإنسان الصالح.

ولو قدر الفلاسفة والمصلحون اللهَ حقَّ قدره لعرفوا أن أول لوازم إصلاح الإنسان تعريفه بالخالق ﷻ، وتوثيق صلته به بالعبادة والطاعة لأوامره ونواهيه، وأن مهمة المصلحين ليست في تشريع أديان جديدة، وتحديد رؤية للعالم والإنسان عن طريق النظر والاجتهاد، فإن حق التشريع لله وحده، لا ينازعه فيه إلا ظالم جاحد ومتكبر جاف، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾(٣).

---

(١) النور: ٤٠

(٢) الزمر: ٦٧.

(٣) آل عمران: ١٨ - ١٩.

إن همة المفكرين ينبغي أن تتوجه نحو فهم المضامين العقدية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية في الإسلام، وتعميق هذا الفهم باستمرار للوصول بالإنسان إلى الله تعالى، وتحقيق سعادته في دنياه وآخرته.

الألوهية والربوبية:

ويرتكز نظام الاعتقاد في الإسلام على عقيدة الألوهية والربوبية، استمع جبير بن مطعم إلى رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بسورة الطور، فلما بلغ هاتين الآيتين: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾[1] قال: جبير: «كاد قلبي أن يطير»[2] فلماذا كاد قلب هذا الصحابي أن يطير عند سماع الآية؟ أليس لما فيها من بليغ الحجة على الخلق مما وعاه عقله واستشفته روحه؟ وكم من الناس يمرون على هذه الآية وغيرها فلا تحرك قلوبهم ولا تهز وجدانهم ولا تثير من المعاني ما أثارته في قلب هذا الصحابي الجليل.

لقد تأمل المفسرون في هذه الآية تأملات شتى فـ(أم) هنا ليست بمعنى (بل)، وإنما هي للاستفهام، ولم يكن المشركون ينكرون أن الله خلقهم وخلق السماوات والأرض وأنهم ليسوا بخالقين، ولكنهم يغفلون ما يترتب على ذلك من توحيد الألوهية، وهو مقتضى الاعتراف بالخالق ونعمه.

وقد لخص ابن تيمية أقوال المفسرين في الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ فقال: «من غير رب خلقهم، وقيل من غير مادة، وقيل من غير عاقبة وجزاء. والأول مراد قطعًا، فإن كل ما خلق من مادة أو لغاية فلا بد له من خالق»[3].

---

(١) الطور ٣٥ - ٣٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه حديث رقم ٤٨٥٤.

(٣) الفتاوى ١٣/ ١٥١.

لقد جنح بعض فلاسفة القرن العشرين إلى القول: إن المادة هي الأصل الأول وأن «الإنسان يقوم وحده» لم يخلقه رب ولم يحكمه إله، وهذا عنوان كتاب جوليان هكسلي الذي أنكر فيه وجود الله زاعمًا أنه يعتمد على أدلة العلم. وقد نقض رأيه عالم آخر هو كريسي موريسون في مؤلفه المشهور (الإنسان لا يقوم وحده)، الذي بيَّن فيه بأدلة العلم الحديث نفسه أن الله خالق كل شيء.

وهذا يدل على أن الصراع بين الإيمان والإلحاد قديم وحديث، وأن مقوله فيورباخ (لا إله والحياة مادة) ليست جديدة، وإنما هي ترديد لأقوال الدهريين القدامى والطبيعيين المحدثين، على أن هذه الآراء تصدعت منذ منتصف هذا القرن، عندما تم الكشف عن حقيقة المادة، إذ تفجرت ذراتها، ودلت على أنها ليست «مادة» بالمعنى القديم، بل هي طاقة سالبة وموجبة، وهي في حالة حركة وليست ساكنة. وبذلك أطل العلم الحديث على تصور جديد للمادة نفسها، هدم به كل التصورات القديمة للدهريين القدامى والطبيعيين الجدد.

ولم يكن العرب المشركون الذين أخبر القرآن عن عقائدهم ينكرون أن الله تعالى هو خالقهم، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[1] كما أنهم ما كانوا ينكرون أن الله هو الذي خلق السماوات والأرض. قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[2].

---

(١) الزخرف آية ٨٧.

(٢) الزمر آية ٣٨.

بل لم يكونوا يجهلون بعض صفات الخالق مثل كونه عزيزًا عليمًا قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾(١).

ولكن المشركين مع اعترافهم بالربوبية، فقد أشركوا معه غيره في العبودية، متجاهلين تفرده بالخلق، ومن هنا أنكر عليهم الله تعالى هذا الخلط الذي أفضى إلى صرف العبادة إلى من لا يستحقها، لأن العبادة شكر للخالق المنعم، فمن ليس بمصدر للخلق وللنعم لا يستحق العبادة، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾(٦).

وبين ما هم فيه من تخليط، قال تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾(٧). فما دام الشركاء ليس لهم خلق فما مصدر التشابه

---

(١) الزمر آية ٩.
(٢) النحل آية ١٧.
(٣) الحج آية ٧٣.
(٤) النحل: ٢٠.
(٥) الفرقان: ٣٠.
(٦) الأعراف: ١٩١.
(٧) الرعد: ١٦.

والالتباس إذا؟. إن التمايز بين الخالق الواحد والمخلوقات المتنوعة واضح، لا يقبل اللبس والخلط إلا عندما تختل المقاييس وتعوجُّ الموازين وتنحرف الفطرة. فكل ما في السماوات والأرض مخلوق لله وحده. قال تعالى: ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾[١]. إن وحدة واتساق نظام الكون والحياة في العالم المشهود دليل على صدوره عن أمر واحد وإرادة واحدة لا تنازع، ولولا ذلك لتفكك نظام الكون واختلت وحدته واضطرب تناسقه، و﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[٢]. قال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾[٣].

يقول كريسي موريسون: «إن وجود الخالق تدل عليه تنظيمات لا نهاية لها، تكون الحياة دونها مستحيلة، وإن وجود الإنسان على ظهر الأرض والمظاهر الفاخرة لذكائه، إنما هي جزء من برنامج ينفذه بارئ الكون»[٤].

ويقول: «إن الإنسان ليكسب مزيدًا لا حد له من التقدم الحسابي في كل وحدة للعلم، غير أن تحطيم - ذرة - دالتون التي كانت تعد أصغر قالب في بناء الكون إلى مجموعة نجوم مكونة من جرم مذنب وإلكترون طائرة قد فتح مجالاً لتبديل فكرتنا عن الكون والحقيقة تبديلاً جوهريًّا، ولم يعد التناسق الميت للذرات الجامدة يربط تصورنا بما هو مادي. وإن المعارف الجديدة التي كشف عنها العلم لتدع مجالاً لوجود مدبر جبار وراء ظواهر الطبيعة[٥]». ويقول ستانلي كونجدن: «إن جميع الكون يشهد على وجود

(١) فاطر: ٤٠.

(٢) المؤمنون: ٩١.

(٣) الملك:٣.

(٤) العلم يدعو للإيمان ٤٦.

(٥) المصدر السابق ٤٦ - ٤٧.

الله سبحانه، ويدل على قدرته وعظمته، وعندما نقوم نحن العلماء بتحليل ظواهر هذا الكون ودراستها حتى باستخدام الطريقة الاستدلالية، فإننا لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار يدي الله وعظمته، ذلك هو الله الذي لا نستطيع أن نصل إليه بالوسائل العلمية المادية وحدها، ولكننا نرى آيته في أنفسنا، وفي كل ذرة من ذرات هذا الوجود، وليست العلوم إلا دراسة خلق الله وآثار قدرته»[١].

ويقول بول كلارنس: «إن الأمر الذي نستطيع أن نثق به كل الثقة هو أن الإنسان وهذا الوجود حوله لم ينشأ هكذا نشأة ذاتية من العدم المطلق، بل إن لهما بداية، ولابد لكل بداية من مبدئ، كما أننا نعرف أن هذا النظام الرائع المعتمد الذي يسود هذا الكون يخضع لقوانين لم يخلقها الإنسان، وأن معجزة الحياة في حد ذاتها لها بداية، كما أن وراءها توجيهًا وتدبيرًا خارج دائرة الإنسان. إنها بداية مقدسة وتوجيه مقدس وتدبير إلهي محكم»[٢].

ويقول جورج أيول: «إن كل ذرة من ذرات هذا الكون تشهد بوجود الله، وإنها تدل على وجوده حتى دون حاجة إلى الاستدلال بأن الأشياء المادية تعجز عن خلق نفسها»[٣].

فهذه أقوال علماء الطبيعة الكبار في القرن العشرين تشهد بما قاله الله تعالى في كتابه المنزل على نبيه من أن وجود المخلوق يدل على وجود الخالق، وأن سبب الكفر يرجع إلى انعدام اليقين عند الكافرين، لأن الله تعالى لم يكتب لهم الإيمان ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ

(١) الله يتجلى في عصر العلم ٢٦.
(٢) الله يتجلى في عصر العلم ٤٤.
(٣) المصدر السابق ٤٧.

خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾. قال الخطابي: «فذكر العلة التي عاقتهم عن الإيمان، وهي عدم اليقين الذي هو موهبة من الله ﷻ ولا ينال إلا بتوفيقه، ولهذا كان انزعاج جبير بن مطعم حتى قال: كاد قلبي أن يطير، والله أعلم»[1].

*****

(١) الخطابي: أعلام الحديث ١٠٠٠.

obeikandl.com

النبوات

الإيمان بسائر الأنبياء وأثره:

يهتم الإسلام بتوجيه أتباعه نحو النظرة الإنسانية الواسعة، ونحو استشراف التاريخ واختراق الجدران بين الثقافات والحضارات والإفادة من الحصيلة الثقافية العالمية لخير المجتمع الإسلامي. وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[1] يوضح القرآن عقيدة المسلمين في الإيمان الشامل بأنبياء الله وأمنائه على وحيه، فالدين في نظر المسلم واحد من لدن آدم عليه السلام وحتى محمد ﷺ وهو الإسلام، والإيمان بالأنبياء واجب حتى إن إنكار نبوة أحدهم تفضي بالمنكر إلى الردة عن الإسلام، بل إن تعاليم الأديان ومناسك العبادة أحيانا تبقى ثابتة، تشير عمليًّا إلى وحدة المصدر الإلهي لهذه الأديان جميعًا... فعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: «أفاض جبريل بإبراهيم صلى الله عليهما، فصلى به بمنى الظهر والعصر، والمغرب والعشاء والفجر، ثم غدا من منى إلى عرفة، فصلى به الصلاتين: الظهر والعصر، ثم وقف له حتى غابت الشمس، ثم دفع حتى أتى المزدلفة، فنزل بها فبات وصلى، ثم صلى كأعجل ما يصلي أحد من المسلمين، ثم وقف به كأبطأ ما يصلي أحد من المسلمين، ثم دفع منه إلى منى فرمي وذبح، ثم أوحى الله تعالى إلى محمد: أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا

---

(١) آل عمران ٨٤، ٨٥.

وما كان من المشركين»[١]. وهو يدل على وحدة مناسك الحج في تعاليم إبراهيم ومحمد ﷺ، وهو مصداق قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[٢].

إن التشابه وأحيانا التماثل بين الأديان في العقيدة خاصة، ثم في بعض المناسك التعبدية والتشريعات الاجتماعية لا يبعث على الشك في صحتها، كما هو منحى بعض العلماء المعاصرين من الأنثروبولوجيين والمؤرخين، الذين يدرسون الدين على نفس منهجهم في دراسة الفولكلور والأساطير الشعبية، فهم يرصدون أوجه التماثل بين الديانة اللاحقة والديانة السابقة، ليصلوا إلى نتيجة قد حددوها - خلافًا للمنهج العلمي - وهي أن الإسلام ليس مصدره الوحي الإلهي، بل هو نسيج من تعاليم سابقة بعضها استمد من التوراة مثل قصص الأنبياء، وبعضها من الإنجيل، وبعضها من القانون الروماني، وهكذا متناسين أن التماثل سببه وحدة المصدر الإلهي، وأثر الأديان السابقة في المجتمعات البشرية المتنوعة عبر التاريخ الإنساني، فهذا ما يتغافله الأنثروبولوجيون والمؤرخون، وبذلك يخونون الحقيقة عندما يغفلون هذا الوجه منها. لقد حاول بعضهم ربط معاني الآيات القرآنية بالأساطير السومرية والبابلية والآشورية والفرعونية واليونانية والرومانية لإسقاط فكرة الوحي الإلهي، والقول: إن مصادر الدين - كما يثبتها العلم الذي يدعونه - هي الفولكلور والأساطير الشعبية وليس الوحي الإلهي[٣].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم للآية ٩٥ من سورة آل عمران، وإسناد الحديث حسن، وله حكم الرفع، لأنه من أمور الغيب.

(٢) الشورى: آية ١٣.

(٣) محمود سليم الحوت: في طريق المثيولوجيا عند العرب ١٤٦ - ١٦٢.

وبالطبع فليس العيب في علم الأنثربولوجي -وهو علم الإنسان وبيئته الثقافية التاريخية - بل في التوجيه المنحرف الذي سعى اللادينيون لإقحام هذا العلم فيه، تحقيقًا لأهداف عقدية بعيدة عن العلم المجرد ومتطلبات البحث العلمي، ومن هنا صار لزامًا على المؤمنين في هذا العصر أن يعيدوا لهذا العلم وجهته الصحيحة في الكشف عن فطرة الإنسان، وحقيقة الأديان، وصلة البشر بالخالق الرحيم الرحمن، مستشرفين التاريخ باحثين في جذور الحياة وأول الآثار، وعندما يقود العلم رجال يتسمون بالوعي والتجرد، فإنهم سيقلبون النتائج التي أعلنها اللادينيون من المتلبسين بثياب العلم زورًا وبهتانًا.

لقد بين القرآن بوضوح التشابه بين الأديان ولم ينكره، فقال تعالى مخاطبًا رسوله: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[1] فالقرآن تصديق لرسالات الأنبياء السابقين وليس نقيضًا لها.

وقد اختار الله تعالى الرسل الكرام من بين الناس، وجعلهم أئمة يهدون العباد إلى توحيد الله وتحكيم شرائعه، وهم أمثلة عالية في عمل الخير وتنفيذ أوامر الله، لذلك فإن الإسلام ينظر إليهم بوصفهم أمثل الناس وأفضلهم وأعلاهم درجة وقدرًا، وأسماهم تصورًا وسلوكًا. كيف لا وقد اختارهم الله تعالى رسلاً ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[2].

وهو ﴿يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾[3] لذلك فهم منزهون عن المعاصي، معصومون من الخطايا، ليصح الاقتداء بهم في سائر سلوكهم وجميع أحوالهم. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا

(١) آل عمران: ٣

(٢) الأنعام: ١٢٤.

(٣) الحج: ٧٥

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾[١].

من أجل ذلك كانت صورة الأنبياء السابقين على محمد ﷺ في القرآن والسنة أمثل وأجل وأسمى من الصور التي ترسمها الكتب الدينية الأخرى كالتوراة - وشرحه التلمود - والإنجيل، لما نال الكتب الأخرى من تحريف على أيدي أتباعها.

والأنبياء أُوحي إليهم بشرع دون أن يكلفوا بتبليغه، لكنهم يعملون بموجبه، وأما الرسل فأوحي إليهم بشرع وكلفوا بتبليغه. وقد سمى القرآن منهم خمسة وعشرين رسولاً، هم: آدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وإدريس ويونس وهود وشعيب وصالح ولوط وإلياس واليسع وذو الكفل وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين[٢]. وهؤلاء الرسل يجب الإيمان برسالاتهم على تعيين أسمائهم وأشخاصهم، وإنكار واحد منهم كفر بصريح القرآن، وهم يتفاضلون، وأفضلهم أولو العزم من الرسل لشدة ابتلائهم وعظيم جهادهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد. قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[٣] وأفضل الرسل جميعًا محمد ﷺ، كما في الحديث (ما من نبي، آدم فمن سواه إلا تحت لوائي)[٤]،

---

(١) الأنبياء:٧٣.

(٢) تشير رواية ضعيفة إلى أن عدد الأنبياء ٢٤،٠٠٠ نبي وعدد الرسل ٣١٥ رسولا. انظر مسند أحمد ٥/ ٢٦٦ وفي إسناده معان بن رفاعة السلامي ليس الحديث كثير الإرسال كما في التقريب، وعلي بن يزيد الألهاني ضعيف، والقاسم بن عبد الرحمن صدوق يغرب كثيرًا.

(٣) البقرة: ٢٥٣.

(٤) أخرجه الترمذي: سنن ٥/ ٥٨٧ وقال: هذا حديث صحيح، وأخرجه أحمد في المسند ١/ ٥.

ولا يتنافى هذا التفضيل مع قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[١] لأن المراد عدم التفريق بالإيمان برسالاتهم جميعًا وليس في التفاضل بينهم. والأنبياء والمرسلون من البشر، لا يخرجون من البشرية بالوحي، بل هم يحافظون على طبيعتهم، وقد حرف النصارى وحي الله، وخالفوا عيسى عليه السلام عندما أضفوا عليه صفات الألوهية، وقد بين القرآن بوضوح أن أفضل المرسلين محمد ﷺ هو بشر لم تكسبه الرسالة صفات الألوهية، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾[٢] فالوحي هو الذي يميز الرسول، ويكشف له الغيب، ويعرفه بالله وبصفاته وبأسمائه، وما يحب وما يكره، وبأوامره ونواهيه، وبشريعته التي يريد إنفاذها في الحياة، وبأسرار الخلق والأمر، والقضاء والقدر. ولم يكن الأنبياء من أرباب الفلسفات أو علماء الطبيعيات، ولم يكن علمهم كسبًا، بل كان أفضل الأنبياء محمد ﷺ أميًّا لا يحسن القراءة والكتابة، وعاش في بيئة خالية من الدراسات الفلسفية والطبيعية المعقدة، كالتي عرفها اليونان والفرس والهنود، ومع ذلك فإن تعاليمه رسمت طريق السعادة والفلاح، وأثَّرت في مئات الملايين من البشر الذين اتبعوها، ونظَّمت حياتهم الخاصة والعامة، وحكمت اجتماعهم واقتصادهم وسياستهم وأخلاقهم وقيمهم قرونًا طويلة، وأثمرت حضارة عالمية سامقة، كان لها دور كبير في الحضارة العالمية، ولا شك أن هذا ما كان ليحدث لولا الوحي الإلهي. وكان تكليف الرسل بحمل الوحي الإلهي وتبليغه مما يجر عليهم الأخطار، لأن الرسالات التي يدعون إليها تقتضي إحداث تغيير كبير في أطر الحياة العقدية والاجتماعية، فكانوا يلقون مقاومة كبيرة من أصحاب النفوذ والمصالح، ومن الجمهور الذي تنتشر فيه العقائد المخالفة لرسالاتهم،

(١) البقرة: ٢٨٥.

(٢) فصلت: ٦.

وهذا عرضهم للأخطار. ولم يكن بوسع الأنبياء أن يتخذوا مواقف وسطًا أو حلولاً توفيقية، لأن الرسالة ليست نابعة من اجتهادهم فيغيرون ويبدلون، بل لابد لهم من الالتزام بنص الوحي الإلهي وبمضامينه، قال تعالى في حق سيد المرسلين ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1].

فلا بد للرسول إذا من التزام أمانة التبليغ مهما كابد من البلاء والمقاومة، ومن هنا جاءت محن الأنبياء. فهذا نوح عليه السلام أول رسول إلى الناس - كما أن آدم أول نبي - عمّر طويلاً، فدعا قومه ليلاً ونهارًا سرًّا وجهرًا إلى توحيد الله، فما استجاب له بعد إقامته فيهم ودعوتهم إلا قليل، هم الذين نجوا من الغرق. قال تعالى:﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[2] وقد اتهمه قومه بالسفه والضلال والجنون وكثرة الجدل وبالافتراء على الله، وهددوه بالرجم، وقابلوه بالسخرية والتهكم، وهو يقابل ذلك بالصبر والاستمرار في دعوتهم حتى أدرك أنهم لا يستجيبون - بعد أن دعاهم قرونًا -، فدعا عليهم كما يحكي القرآن الكريم: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[3]. فعاقبهم الله تعالى بالطوفان، ونجّى نوحًا ومن آمن معه.

وهذا إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء، وخليل الرحمن نشأ في بابل التي يحكمها النمرود الذي ادعى الألوهية، وكان قومه يعبدون الأصنام، وقد عصم الله إبراهيم وآتاه الحجة منذ صغره، فدعا قومه واحتج عليهم وكسّر

(١) الحاقة: ٤٤- ٤٨.

(٢) هود: ٤٠

(٣) نوح: ٢٦، ٢٧.

أصنامهم، ليثبت لهم عجزها عن الدفاع عن ذاتها، فكيف تدافع عن غيرها!! فما كان منهم إلا أن ألقوه في النار، فحفظه الله ونجاه. قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[1].

وهاجر إبراهيم في الأرض يدعو إلى الله، فنزل حران حيث تعبد الكواكب، ثم مصر الفراعنة، وهو يتعرض لأنواع الابتلاء والمحن في نفسه وأهله وولده. وهذا موسى - كليم الله عليه السلام - واجه طغيان فرعون مصر وهو يدعي الإلوهية، ويستعبد بني إسرائيل، يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم، فدعاه إلى عبادة الله وحده، فتمادى فرعون في كفره، واعتزم قتل موسى وقومه، لولا أن نجَّاهم الله وأغرق فرعون وجنده.

وقد لقي موسى من بني إسرائيل أنفسهم من العنت والكبرياء والجدل والاستعداد للانحراف عن العقيدة حتى توفاه الله.

وهذا عيسى عليه السلام دعا اليهود إلى دين الحق الذي انحرفوا عنه، وأجرى الله على يديه المعجزات الباهرة، فعارضه الكهنة وأجمعوا على قتله، فأنجاه الله منهم ورفعه.

وهذا رسول الله محمد ﷺ خاتم النبيين، وقع عليه من أنواع الابتلاء من أذى المشركين بمكة ودعايتهم وتحديهم وحصارهم له ولأتباعه في شعب أبي طالب واضطرارهم لأتباعه للهجرة إلى الحبشة، ثم تركه ﷺ موطنه وهجرته إلى المدينة، ثم استمرارهم في حربه والتأليب عليه حتى نصره الله عليهم وأظهر دينه في الأرض.

---

(١) الأنبياء:٦٩

وهذه السيرة النبوية تشير إلى حال الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وأنهم تعرضوا للابتلاء والامتحان بسبب تبليغهم لرسالات الله تعالى، ولم ينتفعوا في الحياة الدنيا بالنعيم والراحة، بل كانت حياتهم شديدة يلحقهم الأذى في أنفسهم وأهليهم، ويهجرون مواطنهم، ويتعرضون للقتل، فما يصدهم ذلك عن تبليغ دعوة الله وتغيير الواقع الجاهلي.

ومن أجل ذلك النهج العملي في الدعوة والتربية للأتباع كان أثر رسالات الأنبياء في حياة البشرية أثرًا عميقًا شاملًا، في حين بقيت آراء الفلاسفة قابعة في كتبهم ولم تتحول إلى واقع عملي.. ولكل عاقل أن يقارن بين أثر القرآن والسنة وبين جمهورية أفلاطون أو مدينة الله لأوغسطين أو المدينة الفاضلة للفارابي، ليدرك أن رسالة النبي ﷺ هي النهج العملي المؤثر في حركة التاريخ ومصير الأحياء.

إن إيمان المسلمين بالأنبياء جميعًا أعطاهم نماذج روحية متنوعة وعظيمة القيمة، تتمثل فيها القيم الخلقية بأرفع سلوكيات الإنسان التي يمثلها الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهكذا فإن المسلم يجد في نوح عليه السلام مثالاً للداعية الصامد، فرغم تنكر قومه لدعوته بما فيهم ابنه وزوجه، فإن ذلك لم يقعده عن الاستمرار في دعوته، وتهيئة العوامل اللازمة لنجاحها ثم لنجاة أصحابه.

كما يجد المسلم في أيوب - عليه السلام - مثالاً للصبر على الأمراض والأسقام وجفوة الناس والخلطاء، فلم يزده ذلك إلا احتسابًا وإيمانًا، ودعاءً وتضرعًا حتى رفع الله عنه البلاء. وإذا كان الإيمان الشامل بالأنبياء يوسع من مجال الاقتداء، ويعبر عن وحدة الرسالات الإلهية، فإنه يورث المسلمين التسامح الديني ويوجد بينهم وبين أهل الكتاب بعض عناصر الالتقاء،

ويكسبهم مرونة عالية في التعامل معهم داخل المجتمع الإسلامي بمنح الأقليات الدينية حرية المعتقد، وحق الحماية. وإمكان التعايش السلمي معهم، بل تلطيف هذه العلاقة مع الأقليات الدينية عندما تسمح عقائد المسلمين ببرهم ومهاداتهم.

ولو افترضنا على سبيل الجدل أن المسلمين ينكرون نبوات الأنبياء السابقين على رسالة محمد ﷺ، لتغير موقفهم من الأقليات الدينية التي ما كانت لتتمكن من المحافظة على وجودها لولا التسامح الديني، الذي لم يشهد له التاريخ الإنساني مثيلاً، حتى اعتبرت الدولة الإسلامية مسئولة عن حماية أماكن العبادة للديانات الإلهية الأخرى، مثل حمايتها للمساجد الإسلامية، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾(١).

ولا مانع من الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بشرط أن يتقيد الجميع بأدب المناظرة. قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾(٢). وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾(٣).

وقد اعترف عديد من الباحثين الغربيين بتسامح الإسلام والمسلمين، فقال غوستاف لوبون: «إن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب، ولا دينًا سمحًا مثل دينهم».

---

(١) الحج: ٤٠.

(٢) العنكبوت: ٤٦.

(٣) الأنعام: ١٠٨.

ويقول توماس أرنولد: «كان المسلمون - على خلاف غيرهم - إذ يظهر لنا أنهم لم يألوا جهدًا في أن يعاملوا كل رعاياهم من المسيحيين بالعدل والقسطاس».

إن عالم اليوم بحاجة أشد إلى أن تسود روح التسامح، ويتقرر العدل، ويقضي على العصبيات والعنف، الذي يمكن أن يحول التقدم التقني إلى كارثة خطيرة تعصف بالبشر وحضاراتهم.

وليس كالإسلام في غرس روح الخير وبذر التعاون في ظلال الإيمان والسماحة الدينية.

*****

obeikandl.com

بشرية الرسول

ومما لاشك فيه أن الأنبياء هم أوعى البشر بحقيقة الألوهية، ومعرفة استحقاق الإله وحده للعبادة، وذلك بما اختصهم الله به من علم الوحي الإلهي، فالتمييز واضح عندهم بين ما هو حق لله وما هو حق للنبي. لذلك نفى القرآن الكريم عن الأنبياء أن يوجهوا الناس لعبادتهم بدلاً من عبادة الله، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[1].

وهكذا اتضحت طبيعة العلاقة بين «الإله» و«النبي» و«البشر»، ولم يقع في تاريخ الإسلام الطويل أي جدل حول طبيعة النبي، كما جرى في تاريخ النصرانية التي كانت قضية طبيعة المسيح وهل هي إلهية أم بشرية، أم إلهية وبشرية متحدة أساسًا لانقسامها إلى فرق عديدة متطاحنة.

لقد أعلن محمد ﷺ للمسلمين جميعًا أنه بشر مثلهم، كما ورد في القرآن الكريم ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾[2]. وإذا كان الأنبياء لا يستحقون العبادة - وهم أفضل البشر، فإن القادة الفكريين والزعماء المبرزين لا يستحقون العبادة من باب الأولى، ومن ثم قطع الإسلام الطريق أمام الدعوة إلى عبودية الإنسان من دون الله، مهما بلغ مقامه وعظم مكانه. وبذلك حافظ على كرامة الإنسان وحريته، ومنعه من السقوط في هاوية

(١) آل عمران:٧٩.
(٢) الكهف: ١١٠.

الخضوع الأعمى لغيره من البشر، فضلًا عن حمايته من عبادة المخلوقات الأخرى من حيوان وجماد وقوى طبيعية.

وقد لا يدعو القائد المفكر إلى عبادة ذاته، ولكن يحرف كلام الله ويغير أحكامه، وهو بذلك يعطي نفسه حق التشريع، وهو من حقوق الله وحده، وبذلك يتعبد الناس ويخضعهم لفكره وتشريعه، وهو نمط من العبودية حذر منه الرسول الكريم ﷺ، ونبه بعض المفسرين إلى وقوع الأمم السابقة فيه.

فقال المفسر ابن جريج في تفسير قوله تعالى: ﴿كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ﴾[1] قال: «كان ناس من اليهود يتعبدون الناس دون ربهم، بتحريفهم كتاب الله عن مواضعه بغير الذي يقرأون مما أنزل الله في كتابه[2]. وقال عدي بن حاتم رضي الله عنه: «أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك، قال: فطرحته، وانتهيت إليه وهو يقرأ في سورة براءة، فقرأ هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾[3] قال: قلت: يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم، فقال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ قال: قلت: بلى. قال: فتلك عبادتهم»[4].

وهكذا أوضح المصطفى ﷺ أن حق التشريع لله، ومن نازعه فيه فقد دعا الناس إلى تأليه ذاته وعبادته من دون الله تعالى.

---

(١) آل عمران: ٧٩.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم للآية ٧٩ من سورة آل عمران.

(٣) التوبة:٣١.

(٤) تفسير الطبري: ١٠/ ١١٤.

بـل إن الإسـلام مضى إلـى ما هو أبعـد من هـذه التوجيهـات، احتياطًا للنـاس وإبعادًا للأمة من الوقوع في براثن المضلليـن، فجعل الولاء للعقيدة وليـس للرجال مهما علت مكانتهم، فهذا رسـول الله ﷺ ينهي أصحابه عن المبالغـة في تعظيمه، يقول: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبدالله ورسوله)[١].

وينهـى عن مديـح الرجل في وجهه، لئـلا يناله العجـب بالنفس فيجره ذلـك إلى الهـلاك، فلما أثنى رجل على رجل عند النبـي ﷺ قال له: (ويلك قطعت عنق صاحبك، قطعت عنق صاحبك[٢] - مرارًا».

فأيـن هـذه التعاليم ممـا تتعود عليه الأمـم التي لا دين لهـا من الانحناء والسجود للزعماء، والتقرب إليهم بمعسول الكلام وعظيم الثناء، وتشبيههم بالله تعالى وإسـباغ صفاته ﷻ عليهم، بـل والوقوف طوابير في انتظار زيارة قبورهم بعد موتهم في الأعياد والمناسـبات الوطنية، وصرف المبالغ الطائلة على بنـاء مقابرهـم وزخرفة أضرحتهـم، وقديمًا صـرف الفراعنـة الملايين وسخروا الألوف من شـعبهم لبناء أهراماتهم، وحديثًا نجد هذه المظاهر في دول تدعـي نبـذ الدين وتخليـص الناس من الخرافـة وتحريرهم من عبودية الله!! فإذا بها تتعبدهم للزعماء من البشر في حياتهم وبعد مماتهم!!

---

(١) أخرجـه البخـاري (الصحيـح ٤/ ١٣٢) كتاب الأنبياء - باب ٤٨ (واذكـر في الكتاب مريم)، والدارمي: سنن ٢/ ٣٢٠، وأحمد: المسند ١/ ٢٣.

(٢) أخرجـه البخـاري (الصحيح ٣/ ١٥٨) كتاب الشـهادات باب ١٦ إذا زكـى رجل رجلاً كفاه. وأخرجه مسلم (الصحيح ٤/ ٢٢٩٦)

روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، الرجل منا يلقى أخاه أو صديقه أينحني له؟ قال: لا. قال: أفيلتزمه ويقبله؟ قال: لا. قال: فيأخذ بيده ويصافحه؟ قال: نعم(١).

ولم يكن الداخل على مجلس رسول الله ﷺ يميزه عن أصحابه من هيئته أو مكان جلوسه، بل كان الغريب يسأل عنه ليعرفه.. أخرج الدارمي قال العباس: يا رسول الله إني رأيتهم قد آذوك وآذاك غبارهم، فلو اتخذت عريشًا تكلمهم منه؟ فقال: لا أزال بين أظهرهم يطأون عقبي، وينازعوني ردائي، حتى يكون الله يريحني منهم»(٢).

وأخرج الطبراني عن عبدالله بن جبير الخزاعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يمشي في أناس من أصحابه فتستر بثوب، فلما رأى ظله رفع رأسه، فإذا بملاءة قد ستر بها فقال له: مه!! وأخذ الثوب فقال: «إنما أنا مثلكم»(٣).

وسئلت عائشة رضي الله عنها هل كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته؟ قالت: نعم. كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته(٤).

فهذه صورة النبي في الإسلام، وهو أرفع البشر، له الحب والتوقير والدعاء، وله الدرجة الرفيعة، لكنه لا يتجاوز مقام العبودية والطاعة لله، ولا يخلع على نفسه صفات الألوهية، ولا يدعو الناس إلى عبادته، بل يدعوهم

---

(١) أخرجه الترمذي: سنن ٥/ ٧٥ حديث رقم ٢٧٢٨ وقال: هذا حديث حسن.

(٢) الدارمي: سنن ١/ ٣٥ - ٣٦ من طريقين، وأخرجه البزار من طريق ابن عباس أيضا (الهيثمي: مجمع الزوائد ٩/ ٢١ وقال: رجاله رجال الصحيح).

(٣) الهيثمي: مجمع الزوائد ٩/ ٢١ وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٤) مسند أحمد: ٦/ ١٧٦، وانظر: ١٢١، ٢٦٠ منه.

إلى عبادة الله وحده، ويجعل نفسه مثلهم الأعلى في عبادة الله وطاعته، وشعاره ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾[١].

وقد حرص الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام على التمييز بين الألوهية والنبوة، خاصة أن الأمم السابقة قد ألهت أنبياءها، فقالت اليهود: عزير ابن الله. وقالت النصارى: المسيح ابن الله. ولا شك أن تأليه الأنبياء لم يكن في حياتهم، بل بعد زمنهم بقليل أو كثير، حيث تدخل المبالغات والأساطير إلى تاريخهم وسيرتهم، ويبالغ أتباعهم في أخبارهم، حتى يوصلوهم إلى مرحلة الألوهية، ويعبدوهم من دون الله، أو يشركوهم في عبادة الله. ومن هنا حذر رسول الله ﷺ أتباعه من تأليهه، وأكد على صفاته البشرية. فقد «أتى النبي ﷺ رجل، فكلمه، فجعل ترعد فرائصه، فقال: (هوِّن عليك. فإني لست بملك. إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد)[٢] وهذا تواضع منه عليه الصلاة والسلام، وهو الذي اختاره الله من خيار خلقه، وعصمه في نسبه وطهارة محتده؛ فكل آبائه وأمهاته من زواج صحيح.

وبرغم علو مكانته وسمو خلقه وإشادة القرآن برفعته وعظمته، فإنه لم يتخط خصائص البشرية، فهو يتألم كما يتألم البشر، بل إن آلامه تفوق آلامهم. روى البخاري أنه عليه الصلاة والسلام قال: (إنِّي أُوعَكُ كما يوعك رجلان منكم)[٣]، ولما اشتد المرض عليه حين وفاته لاحظت فاطمة - بنته - ما كان

---

(١) آل عمران: ٧٩.

(٢) ابن ماجة: السنن ٢/ ١١٠١ حديث رقم ٣٣١٢ وصحيح سنن ابن ماجة ٢/ ٢٣٢ حديث رقم ٢٦٧٧.

(٣) صحيح البخاري حديث رقم ٥٦٤٨.

يتغشاه فكانت تقول: واكرب أباه. فيقول لها مهدئًا: ليس على أبيك كرب بعد اليوم)[١]. وكان يقول: (إنا معشر الأنبياء يضاعف علينا البلاء)[٢].

ولم يدع مناسبة إلا وبين خصائصه البشرية التي لا تنفك عنه إلا في عصمة النبوة، روى الإمام مسلم عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (اللهم إنما محمد بشر، يغضب كما يغضب البشر، وإني قد أخذت عندك عهدًا لن تخلفنيه، فأيما مؤمن آذيته، أو سببته أو جلدته، فاجعلها له كفارة وقربة، تقربه بها إليك يوم القيامة)[٣].

وكما يطرأ عليه الغضب يطرأ عليه النسيان، فهو وإن كان الله قد رفع درجته فوق الخلق كلهم، فإنه لم يبرئه من سمات الحدث، ولم يخله من الأعراض البشرية[٤]. فقد سها في صلاته، ونسي بعض العدد من ركعاتها، حتى ذُكِّر بها ونُبِّه عليها.

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: صلى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشي، فصلى بنا ركعتين ثم سلم، فقام إلى خشبة معروضة في المسجد، فاتكأ عليها كأنه غضبان، ووضع يده اليمنى على يده اليسرى وشبك بين أصابعه، ووضع خده الأيمن على ظهر كفه اليسرى، وخرجت السُّرْعانُ من أبواب المسجد، فقالوا: قُصِرت الصلاة، وفي القوم أبو بكر وعمر فهابا أن يكلماه، وفي القوم رجل في يديه طول، يقال له ذو

(١) صحيح البخاري حديث رقم ٤٤٦٢.
(٢) مسند أحمد ٣/ ٩٤.
(٣) صحيح مسلم حديث رقم ٢٦٠١.
(٤) الخطابي: أعلام الحديث ٧٧.

اليدين قال: يا رسول الله أنسيت أم قصرت الصلاة؟ قال: لم أنس ولم تقصر. فقال: أكما يقول ذو اليدين؟ فقالوا: نعم، فتقدم فصلى ما ترك، ثم سلم)[١].

ولم تمنع نبوته ورفعة درجته أصحابه من مراجعته في الرأي حتى يعزم الله له، ففي صلح الحديبية راجع عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ في موافقته على شروط الصلح فقال عمر رضي الله عنه «فأتيت نبي الله ﷺ فقلت: ألست نبي الله حقا؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري. قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى فأخبرتك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنك آتيه ومطوف به)[٢].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يراجع رسول الله ﷺ ليقف على الحكمة من موافقته على شروط الصلح، وكان يرغب في إذلال المشركين، «فجميع ما صدر منه كان معذورًا فيه، بل هو مأجور لأنه مجتهد فيه»[٣].

ولم تقتصر المراجعة على أصحاب النبي ﷺ المقربين، ولا على أصحاب المسئولية في الدولة والمجتمع، بل إن النساء كن يراجعنه أيضًا. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «كنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار، فصحت على امرأتي فراجعتني فأنكرت أن تراجعني! فقالت: ولم تنكر أن أراجعك؟ فو الله إن أزواج النبي ليراجعنه، وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل، فأفزعني ذلك، فقلت: جاءت من فعلت ذلك منهن بعظيم،

---

(١) صحيح البخاري حديث رقم ٤٨٢ (فتح الباري ١/ ٥٦٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه كما في فتح الباري حديث رقم ٢٧٣١.

(٣) ابن حجر: فتح الباري ٥/ ٣٤٦ - ٣٤٧.

ثم جمعت عليَّ ثيابي فدخلت على حفصة، فقلت: أي حفصة، أتغاضب إحداكن رسول الله حتى الليل، فقالت: نعم. فقلت: خبتِ وخسرتِ أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسوله. لا تستكثري على رسول الله، ولا تراجعيه في شيء، ولا تهجريه، وسليني ما بدا لك»[١].

وكان رسول الله ﷺ يؤكد لأصحابه هذا المعنى، معنى بشريته، وأنه إنما يمتاز عليهم بالنبوة، ويحذرهم من فعل الأمم السابقة مع أنبيائهم عندما غلت فيهم فاتخذتهم آلهة مع الله سبحانه.

وإنما نهاهم عن المبالغة في مدحه، خشية أن يجر ذلك مع الأيام إلى إسباغ صفات الألوهية عليه، كما حصل لمن أطرى عيسى ابن مريم من النصارى، وقد تمسك عليه الصلاة والسلام بصفة العبودية لله وصفة الرسالة، فهو عبدالله ورسوله، وفيه تتمثل العبودية الصادقة لله، فهو أكثر البشر عبادة وطاعة، وأشدهم التزاما بتعاليم الرسالة...

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ صلى حتى انتفخت قدماه، فقيل له: أتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا»[٢].

إن عبادة المصطفى ﷺ هي ثمرة إحساسه ﷺ بعظمة الخالق ونعمه الكثيرة عليه، وخاصة ائتمانه على الرسالة الخاتمة التي حملها للعالمين.. والتي صارت بفضل الله ثم بفضل تبليغ الرسول لها أعظم نعم الله على

(١) صحيح البخاري ٣/ ١٠٣.

(٢) متفق عليه (صحيح البخاري ٢/ ٤٤) وصحيح مسلم حديث رقم ٢٨١٩.

العباد، فهي تتقدم سائر النعم الأخرى جليلها وصغيرها، فليس من نعمة أعظم من الهداية إلى معرفة الله الخالق، واستبانة طريقه المستقيم المفضي إلى النعيم المقيم في الآخرة، وإلى الطمأنينة والراحة النفسية في الدنيا، حيث لم يعد الإنسان بحاجة إلى طواف طويل وجهد عقلي كبير سعيًا للوصول إلى الحق، وتعرفًا على الله، ووصولاً إلى الحق والخير والجمال. فكل ذلك جاءت به الرسالة الخاتمة التي حملها رسول الله ﷺ وبلغها لأصحابه رضوان الله عليهم، وهم بدورهم حملوها إلى أمم الأرض، وتوارثها الخلف عن السلف عبر القرون، فاهتدى بنورها ألوف الملايين من أهل الأرض. إن نعم الله على الإنسان لا تعد ولا تحصى في روحه وعقله وبدنه، بحيث إن الإنسان الواحد يمتلك ثروة عظيمة جهَّزَه بها الخالق القدير في أعضائه المختلفة، ومن البدهي أن الإنسان صاحب هذه الأعضاء لا يرضى أن يستبدل أيا منها بالألوف المؤلفة من الدنانير والذهب والفضة، وهذا ينطبق على نعمة البصر والسمع والعقل، بل واليد والرجل.... وقد جاء الوقت الحاضر ليرى الناس جميعًا أن أعضاء البدن تقوم بالمال الكثير عندما يحتاج مريض إلى كلية أو غيرها.

إن النعم تحيط بالإنسان وتكتنفه، لكن تعوُّده عليها ينسيه قيمتها، ولو فقد الإنسان شربة ماء ثم وجدها بالمال الكثير لدفعه لحيازتها، لكن كرم الخالق معه أن وهبه الماء والطعام والهواء وكل ما يلزم لحياته دون أن يطالب بشيء سوى العبادة التي تحقق غاية الوجود. وكان رسول الله ﷺ يعبر عن إحساسه بكل معاني الإحسان الإلهي والتعهد الرباني، عندما يصلي حتى تَرِمَ قدماه. (أفلا أكون عبدًا شكورًا؟).

ختم النبوة وعموم الرسالة الإسلامية:

بعث محمد ﷺ رحمة للعالمين، بعد أن ضاعت معالم الرسالات السماوية السابقة، وتحرفت تعاليمها، وخفت إشعاعها، وضعف أثرها في الحياة الإنسانية، فكانت رسالته تجديدًا لدعوة التوحيد التي بعث بها سائر الأنبياء والمرسلين، وتعديلاً للشرائع السابقة وإكمالاً لها، بعد أن ارتقت البشرية وتفتحت عقولها وتهيأت نفوسها لاستقبال الرسالة الخاتمة بكل جوانبها الروحية والاجتماعية، وقد أوضح المصطفى ﷺ أن رسالته إكمال لرسالات الأنبياء السابقين، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[1].

وفي الحديث الشريف عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بني دارًا فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة. فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها، ويقولون: لولا موضع اللبنة». قال رسول الله ﷺ: «فأنا موضع اللبنة، فجئت فختمت الأنبياء»[2].

والحديث يبين اكتمال الرسالة الخاتمة ووفاءها بحاجات البشرية، مهما درجت في مراقي التقدم الحضاري ثقافة وصناعة، مما نص القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[3]، فالإسلام هو الدين الخاتم الذي لا دين بعده، ومحمد هو الرسول الخاتم فلا نبي بعده، فهو الدين الذي ارتضاه الله للبشرية جمعاء حتى قيام الساعة، وقد أمر الله أتباع الديانات الأخرى بالدخول فيه مبينا لهم

(١) الأحزاب: ٤٠.
(٢) صحيح مسلم ص ١٧٩١.
(٣) المائدة آية: ٣.

أنه نسخ الأديان كلها، فلا يقبل الله بعد بعث محمد ﷺ دينًا سواه... قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[١] وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٢].

وقد أخذ الله العهد على جميع الأنبياء والرسل من قبله أن يؤمنوا به إذا أدركوا بعثته وأن ينصروه، لذلك فقد كانوا وأتباعهم على علم بصفاته حيث وردت في كتبهم المنزلة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[٣].

وقد اختار الله تعالى الاسم لأمته ﷺ فقال تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾[٤] فمن الخطأ تسمية المسلمين بغير الاسم قياسًا على أتباع الديانات الأخرى، كما يفعل المستشرقون فيطلقون اسم (المحمدية) على (الإسلام)، واسم (المحمديين) على المسلمين، وينبغي للمسلم أن يجهر بإسلامه ويعلنه ويعتز به، كما في القرآن... ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[٥].

ومحمد ﷺ هو أول المسلمين من هذه الأمة، وهو أولى بالأنبياء من أتباعهم الذين حرفوا تعاليمهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[٦].

---

(١) آل عمران آية:١٩.
(٢) آل عمران آية: ٨٥.
(٣) الأعراف آية: ١٥٧.
(٤) الحج آية:٧٨.
(٥) فصلت آية: ٣٣.
(٦) آل عمران آية:٦٨.

وقال عليه الصلاة والسلام: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة»[١]. وقال ليهود: «أنا أولى بموسى منكم»[٢].

وكما أن الرسالة الخاتمة امتدت بآفاقها الرحيبة إلى الماضي، فاعترفت برسالات الأنبياء السابقين في التاريخ، فإنها اختصت بعمومها، فهي لسائر البشر وليست خاصة بقوم معينين، وهي دين الحاضر والمستقبل، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾[٣].

وقال عليه الصلاة والسلام: «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة»[٤] وفي رواية مسلم: «وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»[٥].

فالرسالة الخاتمة دعوة لوحدة الإنسانية تحت راية التوحيد لا تعترف بالطبقية، ولا بالعنصرية، ولا باختلاف اللون والعرق واللغة، بل هي تتجاوز كل ذلك تحقيقًا للمساواة التامة بين البشر، وتوحيدًا لموكب الإيمان في طريقه إلى الله.

ونظرًا لأن رسالة محمد ﷺ عامة، تمتد في المكان لتشمل المعمورة، وفي الزمان لتستغرق ما بقي من تاريخ الإنسان، فقد تكفل الله بحفظها من التحريف و التبديل والضياع، وهكذا حفظ كتاب الله الخالد «القرآن الكريم»، وحفظت سنة المصطفى ﷺ منذ أربعة عشر قرنًا، فصار بوسع

(١) صحيح البخاري ٤/ ١٤٢ واللفظ له وصحيح مسلم حديث رقم ٢٣٦٥.
(٢) متفق عليه (صحيح البخاري ٤/ ١٢٦) وصحيح مسلم حديث رقم ١١٣٠.
(٣) سبأ آية:٢٨.
(٤) صحيح البخاري ١/ ٨٦.
(٥) صحيح مسلم ١/ ٣٧١ حديث رقم ٥٢٣.

الأجيال المتلاحقة أن تعرف حقيقة الإسلام وتفاصيل العقيدة والشريعة، كما عرفتها الأجيال الأولى دون اختلاف.

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[١].

ومعجزة الرسالة الإسلامية الخالدة هي القرآن الكريم، فهي معجزة دائمة باقية، ظاهرة الإعجاز في كل زمان ومكان، وكانت رسالات الأنبياء من قبله موقوتة محدودة بالزمان والمكان، فكانت معجزاتهم حسية تهدف إلى قهر وتعجيز من يحضرها في حينها، ويشهدها عند حدوثها، كما هو ظاهر من معجزات موسى عليه السلام، حين ضرب البحر بعصاه فانفتح أمامه طريق العبور وسط الماء، وكما هي معجزات عيسى عليه السلام حين يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله... فمن لم يشهد هذه المعجزات فإنه لا يذعن للحق ولا يتبع النبي.. أما معجزة الرسول الكريم فكانت معجزة خالدة لخلود الرسالة، باقية - بحفظ الله - بقاء الحياة، تذعن لها العقول المستنيرة والقلوب الواعية في كل زمان ومكان، ويتذوق بيانها وبلاغتها الفصحاء والبلغاء فهي معجزة بيانية بلاغية تحدّت العرب وقت النزول وبعده، وهم أمة البيان، فعجزوا عن إجابة التحدي عبر العصور[٢].

وقد أشار المصطفى عليه الصلاة والسلام إلى اختلاف معجزته عن معجزات الأنبياء من قبله، فقال: (ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما الذي أوتيت وحيًا أوحي إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة)[٣].

---

(١) الحجر: ٩.

(٢) انظر إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني.

(٣) متفق عليه واللفظ لمسلم (صحيح البخاري ٦/ ٩٧، وصحيح مسلم ١/ ١٣٤ حديث رقم ١٥٢).

وقد كثر أتباع الرسول ﷺ على مر القرون حتى بلغوا في الوقت الحاضر ربع سكان المعمورة، ولو أنهم التزموا بتعاليم النبي الكريم في عقائدهم وسلوكهم ونظمهم، وأدركوا مسئوليتهم في الدعوة إلى دين الله لفتح الله عليهم بركات من السماء والأرض، ولحققوا السعادة لأنفسهم في الدنيا ونالوا مغفرة الله ورضوانه في الآخرة.

لقد قطع الإسلام بختم النبوات بنبوة محمد ﷺ الطريق أمام أدعياء النبوة، وضيق مسالك نشر دعواتهم الباطلة بأن هيأ الأذهان لعدم قبولها، وكذلك قطع الطريق على الأفكار السلبية التي تدعو للإبقاء على الأوضاع الظالمة وعلى الشر والفساد لحين ظهور نبي أو إمام منتظر. فلم يبق أمام المسلمين إلا العمل الدائب وفق هدي النبي محمد ﷺ دون انتظار لوحي جديد.

القرآن معجزة الرسول الخالدة:

القرآن هو كتاب الله المنزل على نبيه لفظًا ومعنى، وهو قطعي الثبوت لتواتر نقله، ولوعد الله بحفظه.

ولم يكن النبي عليه الصلاة والسلام يعرف الكتاب ولا الإيمان قبل أن يوحى إليه القرآن، الذي جعله الله تعالى نورًا يهدي به عباده إلى الصراط المستقيم. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

---

(١) الآية رقم ٥٢ من سورة الشورى.

وقد سئل ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما الصراط المستقيم؟ قال: تركنا محمد ﷺ في أدناه، وطرفه في الجنة، وعن يمينه جواد، وعن يساره جواد، وثم رجال يدعون من مر بهم، فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار، ومن أخذ على الصراط المستقيم انتهى به إلى الجنة، ثم قرأ ابن مسعود ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[1].

وتدلنا رواية أحمد والنسائي على أن عبدالله بن مسعود تعلم هذا التعريف للصراط المستقيم من رسول الله ﷺ، فقد قال ابن مسعود: خط لنا رسول الله ﷺ خطا، ثم قال: هذا سبيل الله. ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله، وقال: هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، وقرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾.

ومعنى كلام ابن مسعود أن النبي ﷺ ترك أصحابه بعد أن أخذ بأيديهم إلى طرف الطريق المفضية إلى الجنة، فتركهم على المحجة البيضاء والسنة الزهراء، لكن هذه الطريق تحتاج إلى الاستقامة عليها حتى النهاية، وعدم سلوك أي جادة، مما يتشعب عنها نتيجة الإفراط والمبالغة والتعمق، أو نتيجة التفريط ورقة الدين واتباع الهوى، حيث يحاول أهل الأهواء دعوتهم وإغراءهم بسلوك الطرق المتفرقة والشاذة التي تبعد بهم عن الجنة، فطريق السنة هو أقصر الطرق إلى الجنة.

والوحي: بمعنى، الإيماء، وهو لغة: الإعلام بالشيء سرًّا، وشرعًا هو الإعلام بالشرع وهو خاص بتعليم الله للأنبياء بواسطة ملك، أو دون واسطة:

---

(١) أخرجه رزين موقوفًا على عبد الله بن مسعود، ومعناه عند الإمام أحمد والنسائي مرفوعا إلى النبي ﷺ.

إما بإلقاء المعنى في النفس وهو الإلهام، وإما بالكلام من وراء حجاب أي دون رؤية، كما حدث لموسى عليه السلام.

وكان الرسول ﷺ يشاهد جبريل عليه السلام إما على صورته الحقيقية وهذا نادر، وإما متمثلا في صورة بشر، فيكلمه فيعي ما يقول، وهو أيسر الوحي عليه، وتارة لا يراه، بل يسمع عند قدومه دويًّا وصلصلة شديدة، فيدرك من عنده من الصحابة أنه يوحى إليه بثقل بدنه وتفصد جبينه عرقًا، وأحيانًا بسماع دوي كدوي النحل عند وجهه، وكان ﷺ يسمع صلصلة الجرس، ويجد من ذلك شدة ـ فإذا قضى جبريل رسالة ربه عاد النبي ﷺ إلى حالته العادية، ونظرًا لحب النبي ﷺ حفظ القرآن ولشدة الوحي عليه من ناحية أخرى، فإنه كان ينازع جبريل القراءة، ولا يصبر حتى يتمها مسارعة إلى الحفظ، لئلا ينفلت منه شيء، فنزل قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[1].

أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»[2].

ويدل حديث عائشة رضي الله عنها على أن الرؤيا الصادقة للنبي ﷺ كانت أول الوحي إيناسًا للرسول ﷺ، فهي أخف وقعًا على نفسه البشرية، كما أنها تهيئه لتلقي شدائد الوحي في اليقظة.

والوحي المحمدي نظير الوحي إلى الأنبياء قبله لا تباين فيه. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾. وكان رسول

(١) القيامة:١٦، ١٧.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم (فتح الباري ١/ ٢٣).

الله ﷺ قد حَبَّب الله إليه العزلة في غار حراء يتعبد متبعًا الحنيفية، وهي دين إبراهيم عليه السلام، فيبقى في الغار مدة شهر، ثم يرجع إلى أهله ليتزود بالطعام أخذًا بالأسباب، وقد تكررت خلوته في غار حراء حتى جاءه الوحي وهو في الغار معتكفًا في شهر رمضان، وقد طلب منه الملك أن يقرأ. فأجاب: ما أنا بقارئ، إذ كان رسول الله ﷺ أميًّا لا يقرأ. والأمية من دلائل معجزته، وأبعد الله تعالى بها عنه شبهة الأخذ عن الكتب السابقة، فأمسك به الملك وضمه ضمًّا شديدًا مكررًا طلبه منه أن يقرأ. ثم أوضح له أن يقرأ عن ظهر الغيب لشيء لم يسبق له حفظه، بل يتعلمه في الآن بأمر الله، وهي الآيات الخمس من صدر سورة العلق - وهي أول ما نزل من القرآن على الإطلاق، ونزل باقي سورة العلق بعد ذلك بسنين، وأما أول سورة نزلت بتمامها فهي الفاتحة على المشهور - فرجع النبي ﷺ بهذه الآيات الخمس يرتجف قلبه، فطلب من زوجته أن تدثره، ففعلت حتى ذهب عنه الفزع، وأخبرها الخبر، ولم يكن ذلك عن شك بما أوحي إليه، بل للمفاجأة التي لم يكن يتوقعها، ولما أبدى لخديجة رضي الله عنها خشيته، أقسمت له أن الله لا يعرضه للذل والهوان والفضيحة، وذكَّرته بحسن أخلاقه، فهو يصل الرحم ببر أقربائه والإحسان إليهم، ويعين المحتاج، وينال معالي الأمور والسبق إلى المكرمات، ويقري الضيف، ويعين صاحب الحق على بلوغه، فمن كان هذا شأنه لا يخزيه الله، بل يرفعه مكانًا عليًّا. ثم إن خديجة انطلقت به إلى ورقة بن نوفل، وكان نصرانيًّا عالمًا بالعربية والعبرية، وله اطلاع على التوراة والإنجيل، حيث كان متمكنًا من نقل التوراة من العبرية إلى العربية، وكان شيخًا قد صقلته التجارب والنظر في الكتب، فلما سمع من النبي ﷺ خبر ما رأى أدرك حقيقة الأمر، فصرَّح بأنه وحي مثل الوحي الذي تلقاه موسى عليه السلام، وتمنى ورقة لو عاد شابًا ليتمكن من نصرة النبي ﷺ على قومه حين يخرجوه من مكة، ثم

أدرك استحالة ذلك لشيخوخته، فتمنى لو يدرك ذلك اليوم فقط، واستغرب النبي ﷺ من كلام ورقة فقومه يحبونه وينادونه بالصادق الأمين، فكيف يخرجونه من بلده!، فسأل ورقة: أو مخرجيَّ هم؟ فبيَّن ورقة: أن هذه هي سنة الحياة، فما من نبي دعا قومه إلى نبذ الجاهلية وتوحيد الله بالعبادة والطاعة إلا عادوه، وآذوه... وتوفي ورقة... وانقطع الوحي مدة - قال الشعبي: إنها سنتان ونصف السنة - وحزن النبي ﷺ على انقطاعه حتى عاوده الوحي آمرا له بالدعوة والإنذار ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾. وكان ذلك في بيت خديجة رضي الله عنها.

وهكذا بدأت مرحلة الرسالة وقد سبقتها ثلاث سنوات هي مرحلة النبوة. ومع نزول الوحي المحمدي عرف البشر مصدرًا للتلقي والعلم عن الله ﷻ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تكفَّل الله بحفظه لينير لأجيال العالمين الطريق الحق، ويهديهم إلى الصراط المستقيم صراط الله العزيز الحميد.

تكفل الله بحفظ القرآن

وقد تكفل الله بحفظ القرآن الكريم من أن يزاد فيه ما ليس منه، أو ينقص منه ما هو من أحكامه وحدوده وفرائضه، فهو الكتاب الخالد المحفوظ بحفظ الله له على تعاقب الزمان واختلاف المكان، فما دام القرآن دستور الرسالة الإسلامية، وما دامت الرسالة الإسلامية لكل البشر، في كل الأزمان والأصقاع، فإن حفظ القرآن وخلوده لازم ودائم دوام الرسالة نفسها. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1] ونظرًا لطبيعة الإسلام التي

(١) الحجر: ٩.

تحمِّل الإنسان المسئولية، وتطلب منه بذل الجهد في الوصول إلى الحق والحفاظ على المبدأ والجهاد في سبيل الرسالة، فإن الله تعالى هيَّأ للقرآن الكريم كل لوازم حفظه وخلوده، فمنذ كان الوحي الأمين يلقي الآيات القرآنية على سمع النبي الأمين، بينت آيات كريمة أن الله يتكفل بحفظ النبي لهذه الآيات، ونبَّهت الرسول إلى ألا يسترسل في بذل الجهد العنيف في الانتباه والتحفز النفسي والشد العقلي الكثير، خوفًا من تفلت آيات الوحي منه وعدم القدرة على حفظها... قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾.

لقد حفظ النبي ﷺ القرآن الكريم، وكان جبريل يتعاهده به ويعرضه عليه في رمضان من كل عام، وكان النبي ﷺ يملي ما ينزل عليه من الآيات على الكُتَّاب من الصحابة منذ المرحلة المكية.

وقد بلغ عدد كُتَّاب الوحي تسعة وعشرين كاتبًا، أشهرهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير بن العوام وسعيد بن العاص وعمرو بن العاص وأبي بن كعب ومعاوية بن أبي سفيان وزيد بن ثابت. ومعاوية وزيد كانا أكثر التصاقًا بهذه المهمة الخطيرة، وكانت الكتابة في الغالب على قطع الجلد وأكتاف العظام وجريد النخل وصفائح الحجارة، إذ لم يكن البردي متوافرًا آنذاك في الحجاز.

وكان كُتَّاب الوحي يحتفظون بما يكتبونه عندهم، ولم تكن ثمة نسخة عند الرسول ﷺ نفسه، وقد جمع القرآن أربعة من الأنصار، هم أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد[1] من الصحابة في حياة الرسول ﷺ،

(١) البخاري: الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ ٩/ ٤٧ وكتاب المناقب، باب مناقب زيد بن ثابت ٧/ ١٢٧.

ولكن كانت الرقاع متفرقة بينهم، وكانت بمجموعها تشتمل على نص القرآن الكريم كاملا كما أملاه الرسول ﷺ، وكما كان محفوظًا في صدور الكثيرين من الصحابة إلى حد التواتر.

وقد حظي بعض الصحابة بالعرضة الأخيرة للقرآن الكريم، حيث عرض جبريل القرآن على الرسول ﷺ عام وفاته في رمضان مرتين، وعرضه الرسول على بعض الصحابة ومنهم زيد بن ثابت، وميزة هذه العرضة أنها تمثل نص القرآن الخالد دون الآيات التي نسخت تلاوتها.

وكان هذا مما رشح زيد بن ثابت للقيام بجمع نسخة كاملة من القرآن الكريم بأمر من الخليفة أبي بكر الصديق، تنفيذًا لاقتراح قدمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال أبو بكر لزيد: (إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه)[1]. فقام زيد بهذه المهمة بكل دقة، واعتمد على ما كتب في حياة الرسول ﷺ على أن يشهد شخصان بأن المكتوب من إملاء الرسول ذاته، وأنه جزء من التنزيل في صورته النهائية.

وهكذا تم الجمع الأول للقرآن الكريم في خلافة الصديق، وانتقل المصحف من الصديق إلى عمر بن الخطاب الذي أودعه لدى حفصة أم المؤمنين عند استشهاده. فلما بويع عثمان رضي الله عنه بالخلافة قام بالجمع الأخير، معتمدًا على المصحف الذي عند حفصة، مع تشكيل لجنة من زيد بن ثابت الذي تولى الجمع الأول ومعه عبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام، ويلاحظ أن الثلاثة الأخيرين

(١) صحيح البخاري ٦/ ٩٨ وانظر التفاصيل في الإتقان للسيوطي ٧٦.

مـن قريش، في حيـن أن زيد بن ثابت أنصاري، ويفسـر طبيعة تكوين اللجنة ما ذكره عثمان من قاعدة العمل: (ما اختلفتم فيه وزيد فاكتبوه بلسان قريش، فإنه نزل بلسانهم).

وقد أتمت اللجنة عملها بنجاح، ونسـخت ست مصاحف وزعت أربعة منها على مكة والشام والكوفة والبصرة، وبقي المصحف الخامس في المدينة والسادس لدى عثمان.. وصارت المصاحف تنقل عنها عبر القرون اللاحقة، ويقال لرسمها (الرسم العثماني) نسبة إلى الخليفة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد اسـتمر علماء المسـلمين طيلة القـرون يبذلون جهـودًا عظيمة في خدمـة المصحـف، بإضافة النقط والشـكل إلى الرسـم العثمانـي الذي كان خاليًـا منهما، ويرجـع الفضل في ذلك إلى أبي الأسـود الدؤلي، الذي وضع النقـاط فوق الحـروف لتمييزها، وإلى نصر بن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر العدوانـي، اللذين وضعا الحركات فـوق الحروف لمنع اللحن فيها، ثم جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي ليجعل الشكل على صورته الحالية.

ولـم تقتصر جهود العلمـاء في خدمة المصحف على النقط والشـكل، وإنما عرَّفـوا بمواضع الوقف والابتداء، ووضعوا العلـوم المتنوعة لخدمته، مثل التفسـير وعلوم القرآن والتجويد ومعرفة القراءات وشرح غريب القرآن وكتـب إعراب القـرآن، فتكونت مكتبة نفيسـة فـي العلوم القرآنيـة، وما زال اللاحقـون يضيفـون فيها إلى جهود السـابقين، تحقيقـاً لإرادة الله في حفظه وبيانه.

وقـد آثـار حفظ القـرآن بهذا الإتقان علـى مر الأزمان دهشـة وإعجاب المنصفيـن من علماء الشـرق والغرب، فقـال لوبلوا: (من ذا الـذي لم يتمن

لـو أن أحدًا من تلاميذ عيسـى الذيـن عاصروه قام بتدويـن تعاليمه بعد وفاته مباشرة».

إن هذه الجهود التي سـخرها الله تعالى لحفظ القرآن تحقيقًا لوعده قد أفلحـت فـي إيصال النص القرآنـي كاملا إلى الأجيال المتعاقبـة حتى اليوم، في الوقت الذي وقع التحريف على سـائر الكتب السـماوية الأخرى، والتي كتبت بعد أزمان طويلة من حياة أنبيائها.

لقـد ظـل القـرآن الكريـم يُغـذِّي عقـول وأرواح المسـلمين، ويدخـل الطمأنينـة والقـدرة على مواجهة صعـاب الحياة إلى نفوسـهم، ويذكي فيهم الطمـوح إلى المعرفـة والاندفاع لبناء الحضارة وتشـييد المدنية، ويهيئ لهم أسـباب ذلك كله، بما حواه تشريعه من قوانين الأخلاق، ومبادئ الاجتماع، وإقرار العدل، وتحقيق السـلام في داخـل النفس وفي إطار المجتمع، فضلاً عـن حفاظـه على اللغة العربيـة التي توحد أمة الإسـلام، وتسـهم بآدابها في توحيـد ثقافتهم ومقاييسـهم الخلقية والاجتماعية وأذواقهـم الأدبية والفنية، فـلا غرابة إذا ما عبَّر مفكر غربي هو الدكتـور موريس عن إعجابه بقوله: «إن القرآن أفضل كتاب أخرجته العناية الإلهية الأزلية لبني البشر».

أثر القرآن في تبصير الإنسان:

إن القرآن يفتح للمؤمن آفاقًا بعيدًا لاستشـراف الحق والخير إذا سـلك العبد سـبيل الهداية ومجاهدة النفس، وبإلزامها المعروف وتجنيبها المنكر، أو بتعبير آخر بإقامتها على السـنة التي سـنها محمد ﷺ وتنفيرها من البدعة، فهـذه المجاهـدة للنفس والأخـذ بها في مسـالك الهداية والنـور تفضي إلى انفساح الآفاق أمام النفس البشرية لزيادة الصعود والارتقاء، والإشراق..

فكلما زادت المجاهدة قويت البصيرة وعظمت معرفة الإنسان بالله ثم بالنفس وبالعالم من حوله.

وفعل الأوامر واتباع المواعظ يفضي إلى الأجر العظيم في الدنيا والآخرة، ويفضي إلى زيادة الهداية والاستقامة على نهج الحق.

لقد علَّم الله تعالى عباده المؤمنين أن يدرسوا أنفسهم، ويحللوا دوافع سلوكهم، ويتبصروا في خطرات النفس، ويستشرفوا نوايا أعمالها، وكانت آيات القرآن الكريم تتابع في رسم منحنيات النفس وبيان مكامن القوة ومواطن الضعف فيها، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾[2]، وقال: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٦٧ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾[3]. فكان هذا التوجيه دافعًا لظهور مدارس علم النفس في الإسلام، ذلك العلم الذي زرع المسلمون الأوائل جذوره، وأهمل الخلف تعهد تلك الجذور.. فلم يصل إلى غاياته إلا في ظل حضارة الغرب ومفاهيمها، مما حرفه عن الطريق الأصيل الذي وجه إليه القرآن أتباعه، وبهذه الصورة الجاهلية استورده المسلمون فيما استوردوا من ثقافة الغرب، مما كان له أثر خطير في تشويه صورة الإنسان ودوافع سلوكه لدى مدرسة التحليل النفسي الفرويدية.

إن الخواطر التي تبعث على ارتكاب الجريمة تبدأ بتسويل من النفس لتطويع المجرم، قال تعالى على لسان أبي يوسف عليه السلام: ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ

---

(١) العنكبوت: ٦٩.

(٢) محمد: ١٧.

(٣) النساء: ٦٦ - ٦٨.

أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾[١]، ومن يقرأ قصة يوسف عليه السلام في القرآن يجد تحليلاً دقيقًا لكوامن الغيرة والحسد في نفوس إخوة يوسف، ويجد عواطف الأبوة والرحمة والحب والأمل بالله وعدم اليأس من رَوْحه في نفس يعقوب، ويجد تحليلاً لشخصية بعض النساء ممن ينتمين إلى طبقة الحكم بمصر في ذلك العصر، بل ويقرأ تعبيرًا للرؤيا التنبؤية التي هي جزء من الوحي.

وفي قصة قتل قابيل لأخيه هابيل تطالعنا دوافع أول جريمة قتل على الأرض بسبب الحسد، عندما تقبل الله تعالى قربان هابيل ولم يتقبل من الآخر، وهنا يبرز الدافع النفسي لارتكاب الجريمة، تلعب فيه النفس الأمارة دورًا بارزًا قال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾[٢] لكنه سرعان ما ندم على ما فعل، فأراد أن يقدم الإحسان للقتيل، ولم يأبَ أن يتعلم من الغراب طريقة الدفن ﴿قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾[٣]، وهكذا كشفت قصة ابني آدم عن النفس الأمارة والنفس اللوامة في لقطة سريعة وبعبارات وجيزة، تكشف عن أغوار الإنسان وتعرفه بذاته.

وبذلك تتقدم به نحو الرشد الفكري، بتكوين معتقداته الأساسية التي تمنع وقوعه في التيه، والإحساس بعبثية الحياة ولا جدوى الوجود، أو عدم معقولية العالم التي سقط ضحيتها الكثيرون من أبناء القرن العشرين، عندما ضاعت منهم حقائق الدين في تثبيت أهداف الخلق والحياة، وتحديد

---

(١) يوسف: ٨٣ .

(٢) المائدة: ٣٠.

(٣) المائدة: ٣١.

قضية مصير الإنسان، وأخلاقيات السلوك المترتبة على تقرير قضية المصير ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[١].

إن منهج القرآن في تعريف الإنسان بذاته يرتكز على الصراحة والحق، فيكشف عن جوانب سلبية كما يكشف عن جوانب إيجابية، ويوضّح أن جوانب السلب والإيجاب تكمن في أعماق النفس وتتعايش داخلها، وقد يظهر جانب على آخر، ويطغى بقوته عليه، ويبقى الجانب الآخر في أغوار الإنسان، قال تعالى ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[٢]. وبين أن الطغيان يجر الإنسان إلى الكفر والرغبة في الاستغناء عن الله، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾[٣]، وقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[٤]، وقال: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾[٥]، وقال: ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾[٦]. وكاشف القرآن الإنسان بحقيقة وجوده، ومصدر متاعبه وصراعاته في هذه الحياة، وإنه خلق للمكابدة والتعب والنصب، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾[٧]، فالدنيا دار امتحان وابتلاء وتمحيص، وعلى الإنسان أن يسعى لخلاص روحه ونفسه، بتوحيد الله وطاعته وعبادته وشكره واستغفاره، قال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[٨]، وقال

(١) المؤمنون: ١١٥.
(٢) الشمس: ٧ - ٨.
(٣) العلق: ٦ - ٧.
(٤) سبأ: ١٣.
(٥) العاديات: ٦.
(٦) عبس: ١٧.
(٧) البلد: ٤.
(٨) النجم: ٣٩.

تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾[٢]، وكما أن الإنسان لديه الاستعداد للطغيان، فإن لديه أيضًا قابلية للخضوع والاستخذاء، قال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾[٣]، وهكذا فإن القرآن أنكر الطغيان كما أنكر الاستخذاء، وهما خلقان متلازمان في المجتمعات، فحيثما يوجد أحدهما يوجد الآخر، وليس من منجٍ سوى الاستجابة لداعي الله في التزام الحق والعدل والرحمة والخير، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٤]، وإذا أسرف الإنسان على نفسه ونأى جنبًا عن ربه، فإن باب التوبة مفتوح أمامه للعودة: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[٥].

إن ما جُبلت عليه النفس الأمارة من سوء يقتضي على الإنسان الحذر منه ومدافعته، وإلا سقط في المحذور وارتكب جرمًا بحق نفسه، أو بحقوق من حوله، أو بحق الله تعالى.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[٦]، وقد لا يبدو السوء ظاهرًا للعيان، بل مستورًا بالخديعة والمكر، مزخرفًا بالتزيين والتحسين، يحتاج الكشف عنه إلى العمل والتثبت والعرض على كتاب الله وسنة المصطفى ﷺ وإجماع العلماء.

---

(١) القمر: ٣٥.
(٢) نوح: ١٠.
(٣) الزخرف: ٥٤.
(٤) الأحقاف: ٣٢
(٥) الزمر: ٥٣.
(٦) يوسف: ٥٣.

قال تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[١] وسمَّى القرآن هذا التزيين وسوسة، كما في قول الله تعالى: ﴿يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾[٢]، وقوله: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾[٣].ولا شك أن قدرة الناس على معرفة الخير الخالص والحق المحض ليست واحدة، بل يتبع ذلك بصيرتهم ومعرفتهم بالشرع وتمييزهم للخير وللشر، فكلما تيقظت بصائرهم وزادت تقواهم، وعظمت معرفتهم بالشرع وحدوده، ازدادوا قدرة على تمييز نفحات الحق وخطرات الخير، من وساوس الشيطان وتزيينه ونفثات النفس الأمارة ومكايدها.

ولا عذر لمن غفل عن الله، وأهمل التعرف على أحكام الشرع بادّعاء الجهل، فإن الله تعالى ذمَّ أولئك الذين يلتبس عليهم الخير والشر، ويفقدون القدرة على الرؤية الصحيحة، فقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[٤]، وقال: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾[٥].

وكيف يعذر من بلغته دعوة محمد ﷺ وفيها البيان والتبصير والمعرفة والتذكير، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «إن للشيطان لمَّة بابن آدم، وللملك لَمَّةً، فأما لمةُ الشيطان فإيعادٌ بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمةُ الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، فليحمد الله،

---

(١) الأنعام: ٤٣.

(٢) الناس:٥.

(٣) الأعراف:٢٠.

(٤) الكهف:١٠٤.

(٥) فاطر:٨.

ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان، ثم قرأ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ[١]﴾[٢].

ولكن معرفة الخير والحق الذي يخطر بنفس المؤمن لا تتم إلا بمعرفة الدين عقيدةً وشريعةً، نظرًا وتطبيقًا، لذلك أرسل الله الرسل لتبصير العباد وإنارة الدرب أمامهم: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[٣].

خلو القرآن من التعارض:

ولا شك أن كلام الله تعالى وكلام رسوله المبلغ عنه يخلو من التناقض الذي قد يقع في كلام البشر. قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[٤]، لأن علم الله تعالى محيط، وإنما يقع في التناقض من يقصر عن الإحاطة العلمية، أو يغفل عن جزئية فتشذ عن قاعدة يقعدها، أو استقراء يقوم به، وأما الله الذي أحاط بكل شيء علمًا، والذي لا يعزب عنه مثقال حبة في الأرض ولا في السماء، فمحال في حقه التناقض والاختلاف في القول، وكذلك رسول الله ﷺ فإن من المحال أن يتناقض في كلامه، ولا يدخل في ذلك أن ينسخ قوله اللاحق قوله السابق، فإن النسخ وقع في الكتاب والسنة معًا في عصر التنزيل، ولكن قصور علم الإنسان المتلقي عن الله ورسوله وعدم إحاطته بالنصوص لكثرتها أو لعدم وصولها إليه أو لقصوره عن فهمها وحسن توجيهها توجيهًا صحيحًا، أو لقلة بضاعته اللغوية أو عدم إتقانه الصناعة النحوية، أو لعدم معرفته بقواعد إزالة

---

(١) البقرة: ٢٦٨.

(٢) رواه الترمذي: السنن٥/ ٢١٩ - ٢٢٠.

(٣) النور: ٤٠.

(٤) النساء: ٨٢.

التعارض التي قعَّدها العلماء من المحدثين والأصوليين، مما عنونوا له بـ «تأويل مختلف القرآن» «وتأويل مختلف الحديث».

والمؤمن الواعي يتبع السلف الصالح في طرائق البحث والاستنباط والترجيح. وإلا تاه وسط آلاف الروايات في مجلدات التفسير والحديث.

فإن استغلق عليه فهم أمر عقدي أو شرعي فليقل كما علمنا ربنا تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾(١).

حول ما يزعم من وجود الإعجاز الرياضي في القرآن:

قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾(٢) لقد جاءت هذه الآيات في سورة المدثر بعد ذكر موقف الوليد بن المغيرة من الإسلام، وقوله عن القرآن: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾. وكان الوليد من رجالات قريش، كثير المال والولد، حسن المعرفة بالشعر، وبأفانين الكلام، مما يجعله واعيًا لكلام الله تعالى مميزًا له، لكنه آثر الكفر عنادًا منه للحق، واستكبارًا وبطرًا وجحودًا للنعم العظيمة التي أنعمها الله عليه، مع أنه كان يطمع في المزيد من النعم، ولعله كان يطمع في النبوة بعد أن نالته حظوظ الدنيا حتى شبع منها. فيكون الحسد أحد بواعث إنكاره لنبوة محمد ﷺ، فمضى يعين قومه

(١) آل عمران:٧.

(٢) المدثر:٢٦ - ٣١.

في دعايتهم ويوجههم فيها، مدعيًا أن القرآن سحر يأخذه الرسول ﷺ عن غيره، ويؤكد لهم أنه قول بشر كما يذكر القرآن ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾(١).

مع أن المغيرة كان يعرف تمامًا أنه ليس من كلام البشر، فقد وضَّح لقومه مباينة القرآن لكلام الكهان و مفارقته لشعر الشعراء، ومن هنا توعده الله تعالى بأن يصليه سقر، وهو اسم علم لباب من أبواب جهنم، ناره لا تُبقي من فيها حيًّا ولا تذره ميتًا، بل تحرقه كلما تجدد خلقه ليخلد في العذاب، وهى «لوّاحة للبشر» تحرق البشرة، التي تتجدد دومًا، فتبقى حاسة المعذب كاملة، فلا تخف معاناته على الدوام، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾(٢).

وقد أخبر الله تعالى رسوله ﷺ بأن سقر عليها تسعة عشر خازنًا من الملائكة، وذلك أن أبا جهل ظنهم رجالاً، فزعم أن عدد قريش كثير، وأنهم يغلبون تسعة عشر رجلاً، فبيَّن تعالى أنهم ملائكة، وأن ذكر عددهم المحدود فيه فتنة للمشركين، الذين استقلّوا عددهم وطمعوا في غلبتهم، وبيَّن تعالى أن عدد خزنة النار مذكور أيضا في التوراة والإنجيل، وأن هذا الاتفاق في العدد لأن كتب الله تعالى يصدق بعضها بعضًا، فيزيد يقين أهل الكتاب والمؤمنين بصحة نبوة أنبيائهم وصدق كتبهم، وأما المشركون فيزدادون شكًّا ونفاقًا في حقيقة البعث والنار، التي وصفها القرآن بأنها تذكرة للبشر ﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾(٣).

ويتضح من النص القرآني وكلام السلف في بيان معناه أن عدد خزنة النار هم تسعة عشر خازنًا، وأنهم من الملائكة، وأن الرقم «تسعة عشر» ليس

(١) المدثر:٢٥.
(٢) النساء:٥٦.
(٣) المدثر:٣١

لغزًا غامضًا ليأتي الباحثون في القرن العشرين، فيدخلوا القرآن في الكمبيوتر ثم يحلوا لغز الرقم، وعندها يتجلى لهم ما لم يتجل لرسول الله ﷺ من أوجه الإعجاز القرآني -فيما يزعمون-!!!

فقد ظهرت خلال العقود الثلاثة دراسات مبنية على أنه ثمة إعجازًا رياضيًّا في القرآن، وأن هذا الإعجاز كشف عنه الكمبيوتر، حيث أظهر ثمة خصوصية للرقم «تسعة عشر» في القرآن، حيث تبين الدراسات التي استعانت بالعقل الآلي أن عدد حروف البسملة تسعة عشر حرفًا، وأن كل كلمة منها يتكرر ذكرها في القرآن تسع عشرة مرة، وأن فواتح السور وردت في تسع وعشرين سورة، ومجموع حروف الفواتح أربعة عشر حرفًا، فيكون رقم جمعها سبعة وخمسين، وهو من مضاعفات رقم تسعة عشر.

ومن خلال التركيز على رقم تسعة عشر يظهر أن بناء القرآن يقوم على هذا الرقم قصدًا، مما يدل على الإعجاز الرياضي، حيث يستحيل على إنسان أن يقيم نظمًا وفق رقم تسعة عشر ومضاعفاته، مما يدل على الإعجاز.

وبناء على هذه المقدمات وصل الباحثون المعاصرون إلى نقض كلام المفسرين القدامى، بل ومعارضة النص القرآني الذي بيَّن أن خزنة النار تسعة عشر ملكًا، بالقول: إن التسعة عشر التي ذكرت إنما هي عدد حروف البسملة، وليست عدد خزنة النار.

وقد يبدو للسذج أن الكشف عن أوجه جديدة للإعجاز القرآني يخدم قضية الإسلام والإيمان في هذا العصر. ولكن الصحيح أنها تزيد من الحيرة والشك عندما تبني استنتاجاتها على أسس واهية ومصادفات واتفاقات اعتباطية ساذجة، فالقرآن لا يحمل ألغازًا يكشف عنها الكمبيوتر، ونبي الإسلام عليه الصلاة والسلام لم يكن يجهل معاني القرآن وطريقة نظمه

وأوجه إعجازه، ولم يخبر بأن ثمة أوجهًا للإعجاز سيكشف عنها الزمان.. والحق أنه ليس فيما ذكره الباحثون بواسطة الكمبيوتر ما يدل على وجود إعجاز رياضي، وإنما هي بحوث تلفيقية لجأت إلى ملاحظة ظواهر متكررة بالنسبة لرقم تسعة عشر، ويمكن أن يلاحظ هذا الاطراد والتكرار بالنسبة لأرقام أخرى، فلا تبقى ثمة خصوصية للرقم (تسعة عشر)، وسواء أكان الحافز على مثل هذه الدراسات الرغبة في الإثارة والتجديد، أو الارتباط بجهات مشبوهة يعني الرقم تسعة عشر عندها معنى تحيطه الأسرار والألغاز، فإن على المسلم أن يحذر هذه الدراسات، ولا يطمئن إلا لكلام أهل العلم المعروفين بالصدق والغيرة على دين الله.

إن إعجاز القرآن في نظمه وأسلوبه، وقد تحدى العرب-وهم أمة البلاغة والفصاحة- أن يأتوا بمثله فعجزوا، ودام التحدي عبر تاريخ الإسلام دون أن يحقق الأعداء استجابة ناجحة للتحدي.. ثم أن شريعة الإسلام بما تضمنته من أحكام عادلة، وعبَّرت عنه من رؤية شاملة لمصالح البشر وتقدير لآمالهم وآلامهم، وتحديد دقيق لعلاقاتهم، وإبراز للحق والواجب، وكل ذلك بُني على مراعاة المصلحة والتيسير للناس، ورفع الحرج عنهم، ومنع التعسف والظلم. وكذلك فقد مضى على نزول القرآن أكثر من أربعة عشر قرنًا دون أن يظهر العلم المتطور والبحث المتقدم أي تناقضات بين ما ذكره القرآن وما كشف عنه علم الإنسان النظري والتجريبي، فهذا كله دليل على أن القرآن من عند الله وليس كلام محمد ﷺ، بل إن الفرق واضحٌ بيِّنٌ بَيْنَ أسلوب القرآن وأسلوب الرسول، كما يظهر في أحاديثه.

ومعروف لدى نقاد الأدب استحالة أن يكتب الكاتب بأسلوبين متمايزين تمايز أسلوبي القرآن والحديث. وهذه الأوجه تغني عن محاولة

افتعال أوجه أخرى للإعجاز، مثل فكرة الإعجاز الرياضي التي لم تبن على حقائق العلم، بل استغلت موافقات معينة لخدمة أهداف مريبة، سواء اتصلت بتدعيم مكانة الرقم تسعة عشر عند البابيين والبهائيين، أو بالكسب المادي عن طريق الإثارة و ادعاء التجديد مما يؤدي إلى رواج المنشور- وانخداع السذج بما فيها من معلومات غريبة ظاهرها خدمة الإيمان، وباطنها التشكيك والنقض لأقوال السلف بل ولصريح القرآن.

وقد حذَّر رسول الله ﷺ من تفسير القرآن بالرأي دون دليل، فقال: «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»[١]. وقال عليه الصلاة والسلام: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»[٢].

إن القرآن معجزة بيانية، وإن تشريعاته المحكمة دليل على أنه من عند الله، ولكنه ليس المعجزة الوحيدة لمحمد ﷺ، كما ذهب إلى ذلك البعض من مؤلفي السيرة النبوية المعاصرين[٣]. بل ثمة معجزات أخرى ثابتة بأحاديث صحيحة لا يمكن ردها أو تأويلها، وليس من داع لإنكارها سوى الخضوع لمنهج البحث المادي الذي ينكر ما وراء الطبيعة من عالم الغيب والروح.

وفيما يلي أعرض للمعجزات الحسية التي جرت في عصر السيرة.

*****

(١) رواه الترمذى وقال: هذا حديث حسن (سنن٢/ ١٥٧).

(٢)رواه الترمذى: (سنن٢/ ١٥٧).

(٣) منهم الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه (حياة محمد).

معجزات الرسول الحسية

كان المشركون يطالبون رسول الله ﷺ بالآيات الحسية التي تخرق سنن الحياة وقوانين الطبيعة، وكانوا يقصدون من وراء طلبهم إظهار عجزه عن ذلك والسخرية منه، ولعل المؤمنين -وقد ضاقت بهم السبل- كانوا يتطلعون إلى الاستجابة لطلب المشركين رجاء إيمانهم، خاصة وأن المشركين كانوا يحلفون ويؤكدون بأنهم سيستجيبون للإسلام حال ظهور المعجزات الخارقة. لكن الإسلام لم يعتمد على المعجزات الخارقة في اجتذاب قلوب الناس إلى الإيمان، بل اعتمد على إقناع عقولهم واجتلاب قلوبهم وملء وجدانهم بمعاني القرآن، الذي يمثل المعجزة الدائمة الباقية، مما يمكن الأجيال المتعاقبة من التأثر بهذه المعجزة البيانية، وما تحمله من معاني الحق والصدق، وما تزخر به من سمو التشريع، وحسن الإرشاد إلى مكارم الأخلاق، فضلاً عن قوة التأثير الروحي والنفسي في السامع والقارئ.

وقد أخبر الله تعالى بأن المشركين لن يؤمنوا حتى لو جاءتهم المعجزات الخارقة، لأن الله تعالى يقلِّب أفئدتهم وأبصارهم، ولا يريد هدايتهم، فهم أهل عناد واستهزاء وجحود للحق، ومثلهم لا يستسلم للحق مهما وضح لهم. وسوف يجدون لكل آية تأويلاً، ولكل معجزة تفسيرًا، إذ إنهم طبعوا على الكفر والتمرد على الله تعالى، وما كان هذا حاله لا يعدم التأويلات والتفسيرات والظنون والتقولات قريبة وبعيدة. قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ

﴿ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾[1].

وما دامت الهداية بيد الله وحده، فمن لم يشأ أن يهديه لا يهتدي حتى ولو رأى الملائكة عيانًا وكلمه الموتى جهارًا، وعاين كل شيء معاينة فانجلى له الأمر تماماً، وهذا فيمن كتب الله عليهم الشقاء، وأما من كتب لهم السعادة والإيمان فهم الذين استثناهم الله تعالى بقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ وقد أكد القرآن على هذه الحقيقة في آيات كثيرة.. فقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾[2].

وهنا يكشف الله تعالى عن حقيقة أخرى هي سنته في الكافرين إذا جحدوا المعجزة الحسية، فهو يعجِّل لهم العقاب، ولا يفسح لهم الوقت للتوبة، فكان عدم إجابة طلب المشركين رحمة بهم وإنظارًا لهم؛ ليثوب إلى الحق من كتبت له السعادة والإيمان، وأما أهل الشقاء فلن تغير المعجزات مصيرهم، مهما بلغت عظمتها، واتسع خرقها لقوانين الحياة والطبيعة، وكما قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾[3].

وهكذا حتى لو استجاب الحق لطلب المشركين المعجزات الحسية، فإنهم سيتأولونها بأعمال السحرة، ويبطلون حجيتها عنادًا واستكبارًا، تحقيقًا لما كتبه الله عليهم من الشقاء

---

(١) الأنعام:١٠٩ - ١١١.

(٢) الأنعام:٧، ٨.

(٣) الحجر:١٤، ١٥.

وهكذا فإن المعجزة القرآنية انفردت بالظهور والتأثير الكبير، لما تتسم به من خلود الرسالة الإسلامية وعمومها، أما بقية المعجزات الحسية فقد ظهرت غالبًا للصحابة رضوان الله عليهم، وكان أمر النبي ﷺ لهم بينًا، وقد استجابوا لدعوته قبل ظهورها، فلم تكن سببًا في إيمانهم، وإن كان اطلاعهم على أحواله عليه الصلاة واسلام وكرامته على الله تعالى مما يزيد في انشراح صدورهم وطمأنينة قلوبهم، بل كثيرًا ما وقعت المعجزات الحسية لإزالة الكرب عنهم أو سد جوعهم أو إلحاق الهزيمة بعدوهم. أما المعجزة القرآنية فكانت تحديًا مباشرًا للكفار، وسببًا في إسلام من أسلم منهم، بالإضافة إلى تأثير شخص النبي ﷺ في حسن خلقه الجم، ولطف حديثه، وكمال معانيه وسدادها.

قال ابن تيمية رحمه الله في كتاب النبوات: والقرآن مما يعلم الناس -عربهم وعجمهم - أنه لم يوجد نظير له مع حرص العرب وغير العرب على معارضته، فلفظه آية، وأخباره آية، وأمره ونهيه، ووعده ووعيده آية، وجلالته وعظمته وسلطانه على القلوب آية، وإذا ترجم بغير العربي كانت معانيه آية، كل ذلك لا يوجد له نظير في العالم)[1].

وهذا تفصيل جميل لأوجه الإعجاز القرآني لفظًا ومعنىً، وقد بيَّن الرسول ﷺ مكانة المعجزة القرآنية في دعوته، وأنها الغالبة على سائر معجزاته، فقال: «ما من الأنبياء إلا أُعطيَ من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»[2].

---

(١) ابن تيمية: النبوات ١٦٤.

(٢) متفق عليه (صحيح البخارى٩/ ٣ وصحيح مسلم١/ ١٣٤).

ورجاؤه ﷺ أن يكون أكثر أتباعًا ممن سبقه من الأنبياء لخلود رسالته، وخلود معجزته القرآنية، التي تكفل انضواء أتباع جدد تحت رايته حتى قيام الساعة.

قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[1]. وقال: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾[4] وقال: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾[5].

وهكذا تحدى القرآن الأجيال البشرية عبر القرون بأن يأتوا بمثل هذا القرآن، أو بعشر سور مثله أو بسورة مثله، أو بحديث مثله، فلم يجب أحد على تحديه، فبان أنه أنزل بعلم الله.

إن إنكار البعض للمعجزات الحسية غير القرآن لا وجه له، فقد ثبتت بالأحاديث الصحيحة المستفيضة، فمعناها متواتر من حيث الدلالة على

---

(١) الإسراء:٨٨.

(٢) هود:١٣، ١٤.

(٣) يونس:٣٨.

(٤) البقرة:٢٣.

(٥) الطور:٣٣، ٣٤.

وقوع معجزات للنبي ﷺ، فيها خرق للناموس الطبيعي، كما في حادثة شق الصدر في العام الخامس من عمره ﷺ. ثم تكرر ذلك قبل الإسراء والمعراج، وهو في الثانية والخمسين من عمره، وكلتا الحادثتين في الصحيحين. فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه -يعنى ظئره- فقالوا: إن محمدًا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره»[(١)].

وفى الصحيحين عن أنس قال: «كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: فُرِج سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل، ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمةً وإيمانًا فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا»[(٢)].

ولا شك أن خبر شق الصدر لا تتقبله عقول الماديين، أما المؤمنون بالغيب فهم يسلمون به، تبعًا لتسليمهم بالوحي والنبوة، وهما خرق للقانون المادي، لا تقبله الفلسفات الحسية، لأنه ظاهرة لا يمكن إخضاعها لتجارب المختبرات، ولكن الإيمان بالغيب شرط الإسلام: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾[(٣)].

كان المشركون إذا يطالبون النبي ﷺ بالمعجزات الحسية، واعدين بالإيمان إذا رأوا وسمعوا، ولم يعتمد منهج الدعوة المحمدية أسلوب

(١) رواه الإمام مسلم فى صحيحه١/ ١٤٧.

(٢) رواه البخارى فى صحيحه كما فى فتح البارى١/ ٤٥٨ ومسلم فى صحيحه١/ ١٤٨.

(٣) البقرة:٣.

المعجزات الحسية في هداية الناس إلى الله ونبيه ورسالته اعتمادًا كبيرًا، ولكن السيرة المحمدية لم تخل من خرق للسنن الطبيعية، لكن الخرق كان يحدث أمام المؤمنين غالبًا ولم يكن سببًا في إيمانهم، لكنه كان يطمئن قلوبهم ويزيدهم إيمانًا، فضلاً عن رفع الشدائد وحل الأزمات وتيسير الصعاب عليهم.

ومن الأحداث النادرة التي استجاب الله تعالى فيها لتحدي المشركين ما رواه البخاري في صحيحه من «أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر، فقال عليه الصلاة والسلام: اشهدوا»[(١)].

وقد فصل حديث صحيح حادثة انشقاق القمر في المرحلة المكية من حديث الصحابي جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين، فرقة على هذا الجبل، وفرقة على هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمد، وقالوا: إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم»[(٢)]. ولم يكن قولهم سحرنا محمد تعبيرًا عن اقتناعهم، وإنما كان ذريعة للتخلص من وعدهم بالإيمان عند رؤية المعجزة، فالفرق بين معجزة النبي وعمل السحرة ظاهر، فهم لم يألفوا من رسول الله تعلم السحر وتعاطيه، ولذلك لم يجر على لسان المشركين بيان اكتسابه ومن علَّمه إياه. ثم إن النبي يريد هدايتهم إلى الحق، وليس جرَّ نفع لنفسه، كما هو شأن الساحر.

وإذا كان انشقاق القمر استجابةً لطلب المشركين وكشفًا لعنادهم وكذبهم، فإن حادثة الإسراء والمعراج وما رافقها من وصف دقيق لبيت

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه٦/ ٦٣١.

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده٤/ ٨١، و روى ابن حبان طرفه (موارد الظمآن ٥١٩).

المقدس، قدَّمه الرسول عليه الصلاة والسلام أمام المشركين ولم يكن قد رآه، وما رأى من آيات ربه الكبرى في المعراج، كل ذلك كان معجزة دون أن يطالبه بها أحد، بل كانت فتنةً وامتحانًا ميَّزت بين المؤمنين والكافرين.

وقد وقعت معجزات حسية أخرى للرسول ﷺ أمام بعض المشركين في أوقات متباينة من المرحلة المدنية، لكنها لم تؤد إلى إيمان أحد منهم بصورة مباشرة استجابة لقهر المعجزة، بل تأخر إيمانهم بعدها حتى شاء الله لهم الهداية، فقد حدث في أحد أسفار الرسول ﷺ مع الصحابة أن نفد الماء، فأرسل اثنين من الصحابة يرتادان المياه، فلم يجدا ماء، بل وجدا امرأة تحمل مزداتين من ماء على بعير لها، فقدما بها إلى رسول الله ﷺ، ففرغ من مائها في إناء ثم سقى الناس منه، ثم أعاد إليها المزداتين كاملتين مع هدايا من الطعام، وقال لها: تعلمين ما رزئنا من مائك شيئا، ولكن الله هو الذي سقانا، فلما رجعت المرأة إلى أهلها قالت عنه فعل كذا وكذا، فو الله إنه لأسحر الناس، أو إنه لرسول الله حقًّا. ولم تسلم وقومها إلا بعد حين[1]. فبرغم ما لاحظته المرأة من المعجزة الحسية الظاهرة، فإنها لم تسلم نتيجة ذلك، لأن العقل الكافر قد يخلط ما بين معجزة النبي و السحر عند شيوع الجهل وضعف الوعي وانعدام التمييز بين الحق والباطل.

ومثل هذا تكرر مع رجل من بنى عامر-فيما يرويه الإمام أحمد بسند صحيح، قال: «أتى النبي ﷺ رجل من بنى عامر، فقال: يا رسول الله أرني الخاتم الذي بين كتفيك، فإني من أطب الناس. فقال رسول الله ﷺ ألا أريك آية؟ قال: بلى. قال: فنظر إلى نخلة، فقال: ادع ذلك العَذْقَ. قال: فدعاه فجاء ينقر حتى قام بين يديه.

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه١/ ٤٤٧.

فقال له رسول الله ﷺ: ارجع. فرجع مكانه. فقال العامري: يا آل عامر ما رأيت كاليوم رجلاً أسحر»[١].

ولكن أمر المرأة صاحبة المزادة والرجل العامري يختلف عن موقف قريش، لأن المرأة والعامري لم يكونا يعرفان الرسول ﷺ، كما كانت قريش تعرف من صدقه وحسن سيرته وجوانب دعوته، وأنه رفض عروضها الدنيوية، وهى مطلب الساحر ومراده من السحر.

والحق أن اطلاع المشركين على المعجزات الحسية للرسول ﷺ كان قليلاً إلى جانب المعجزات الحسية الكثيرة التي شهدها المؤمنون، فازدادوا إيمانًا واستبشارًا..

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (كنا نعد الآيات بركةً، وأنتم تعدونها تخويفًا، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقل الماء، فقالوا: اطلبوا فضلة من ماء، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء، ثم قال: حيَّ على الطهور المبارك، والبركة على الله، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل)[٢].

وقد استفاضت الأخبار الصحيحة في تكثير الماء والطعام بين يديه في السفر والحضر، فقد توضأ سبعون صحابيًّا في قدح فيه ماء يسير، مدّ النبي فيه أصابعه الأربع، ومرة أخرى توضأ زهاء ثلاث مئة من إناء وضع الرسول ﷺ يده فيه، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه[٣].

---

(١) المسند١/ ٢٢٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه٦/ ٥٨٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه٦/ ٥٨٠ - ٥٨١.

وقد تكرر منه ذلك في الحديبية مرارًا، فقد نزل المسلمون على ثمد قليل الماء فنزحوه، واشتكوا إلى رسول الله ﷺ العطش، «فانتزع سهمًا من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالريِّ حتى صدروا عنه»(١).

ومرة أخرى في الحديبية عطش الناس وبين يدى رسول الله -ﷺ- ركوة فتوضأ منها، واشتكى الناس إليه أن ليس عندهم ماء للشرب وللوضوء غير ما في الركوة، فوضع يده في الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون، فشرب ألف وخمس مئة من الصحابة وتوضأوا. وهذا الخبر يرويه جابر بن عبدالله في صحيح البخاري، وقد شهده العيان من الصحابة وهم جمع غفير، وما أنكره أحد(٢).

ومن ذلك ما حدث في غزوة تبوك حيث أخبر معاذ بن جبل بأن عين ماء تبوك كانت تبضُّ بشيء من ماء، وأن المقاتلين وقفوا عليها، ومعروف أن جيش تبوك هو أكبر جيش قاده رسول الله ﷺ، فماذا يجدي معهم ماء لا يكفى للرجل الواحد إلا بعد جمعه في إناء، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن غسل يديه ووجهه بماء جُمع له من العين في إناء، ثم أعاده في العين فجرت بماء منهمر، فقال لمعاذ: يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد مُلِئَ جنانًا(٣).

وكذلك فقد استفاضت الأخبار الصحيحة في تكثير الطعام بين يديه عليه الصلاة والسلام، منها حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه في الخندق، حيث رأى النبيَّ ﷺ يعصب بطنه بحجر من الجوع، فقد لبث المسلمون ثلاثة أيام

(١) أخرجه البخاري في صحيحه٥/ ٣٢٩.
(٢) صحيح البخاري ٦/ ٥٨١.
(٣) رواه مسلم فى صحيحه٣/ ١٧٨٤.

لا يذوقون طعاما، فطلب جابر من امرأته أن تصنع طعامًا، فذبحت ماعزًا وطحنت شعيرًا، فصنعت من اللحم والشعير برمة، وذهب جابر فدعا رسول الله ﷺ إلى طعامه، قائلا: طعيم لي، فقم أنت يا رسول الله و رجل أو رجلان، فصاح النبي بأهل الخندق، ودعاهم لطعام جابر وهم ألف، فأُسقط في يد جابر وأشفق من قلة الطعام ، فبارك النبي في الطعام، قال جابر: فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو[١].

وقد تكرر تكثير الطعام في وليمة زواجه ﷺ من زينب رضى الله عنها، فقد أهدت له أم سليم حيسة في برمة صنعتها من تمر وسمن وأقط، فدعا النبي ﷺ رجالاً غصَّ بهم البيت، ودعا بما شاء الله له من الدعاء، ثم أكلوا منها جميعا[٢].

وفي غزوة تبوك نفدت أزواد المسلمين حتى هموا بنحر إبلهم التي تحملهم، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله لو جمعت ما بقي من أزواد القوم فدعوت الله عليها. ففعل، فجاء ذو البر ببره، وذو التمر بتمره، فدعا عليها حتى ملأ القوم أزودتهم، فقال -: أشهد أن لا إله إلا الله و أني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة»[٣]. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «أتيت النبي ﷺ بتمرات، فقلت: ادع الله لي فيهن بالبركة. قال: فصفَّهنَّ بين يديه، ثم دعا. فقال لي: اجعلهن في مزود، وأدخل يدك ولا تنثره، قال فحملت منه كذا وكذا وسقًا في سبيل الله ونأكل ونطعم، وكان لا يفارق حقوي، فلما قتل عثمان رضي الله عنه انقطع عن حقوي فسقط»[٤].

---

(١) رواه البخارى ومسلم (صحيح البخارى٧/ ٣٩٥ وصحيح مسلم ٣/ ١٦١٠).

(٢) رواه البخارى فى صحيحه٩/ ٢٢٦.

(٣) صحيح مسلم١/ ٥٥.

(٤) رواه الإمام أحمد فى مسنده٢/ ٣٥٢، والترمذى فى جامعه، وقال: حسن غريب من هذا الوجه، وقد روي من غير هذا الوجه عن أبى هريرة (سنن الترمذي٥/ ٦٨٥ حديث رقم٣٨٣٩).

ومن هذه المعجزات الحسية الطبية أن عبدالله بن عتيك عندما ذهب لقتل اليهودي أبي رافع لما كان يفعل من أذى الرسول والإعانة عليه، سقط عبدالله من درجة في بيت أبي رافع، فانكسرت ساقه، فلما رجع فأخبر رسول الله بقتل أبي رافع، وأن رجله انكسرت، قال له رسول الله ﷺ: ابسط رجلك. قال: فبسطت رجلي فمسحها، فكأنها لم اشتكها قط»[(١)].

وأصيبت ساق سلمة بن الأكوع في غزوة خيبر فأتى النبي ﷺ، قال سلمة: فنفث فيها ثلاث نفثات، فما اشتكيت حتى الساعة[(٢)].

وذهبت خالة السائب بن يزيد به وهو صغير إلى النبي ﷺ فقالت: إن ابن أختي شاك فادع الله له، فدعا له. فمات السائب وهو ابن أربع وتسعين وكان جلدًا معتدلاً، فكان يقول: لقد علمت ما متعت به من سمعي وبصري إلا بدعاء النبي ﷺ[(٣)].

ومسح رسول الله على وجه قتادة بن ملحان، فصار كأن على وجهه الدهان، أو كالمرآة تنعكس عليه الأشياء[(٤)].

وأما إخباره ﷺ بالأمور المغيَّبة، فهو لا يدل بالطبع على معرفة الغيب إذ ليس ذلك إلا لله وحده، ولكنه يخبر بما يُعلمه الله بواسطة الوحي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، خرج إلى المصلى فصفَّ وكبَّر أربعًا[(٥)].

(١) رواه البخاري في الصحيح٧/ ٣٤.
(٢) رواه البخاري في الصحيح٧/ ٤٧٥.
(٣) رواه البخاري في الصحيح٤/ ١٦٣.
(٤) رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح (المسند٥/ ٢٨و٨١).
(٥) رواه البخاري في صحيحه٣/ ١١٦.

ومن ذلك إخباره عن استشهاد القادة الثلاثة في غزوة مؤتة، قبل وصول الخبر إلى المدينة، فقال ﷺ: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبدالله بن رواحة فأصيب، وإن عيني رسول الله ﷺ لتذرفان، ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة فَفُتِحَ له»(١).

ومن ذلك ما رواه أبو حميد الساعدي في سياق قصة غزوة تبوك، «وانطلقنا حتى قدمنا تبوك»، فقال رسول الله ﷺ: «ستهبُّ عليكم الليلة ريح شديدة، فلا يقم فيها أحد منكم، فمن كان له بعير فليشد عقاله فهبت ريح شديدة، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبلي طيء»(٢).

وعندما قدَّمت له امرأة طعامًا مع جمع من أصحابه، فلاك لقمة في فمه، ثم قال: أجد لحم شاة أُخِذَت بغير أذن أهلها؟ فقالت المرأة: يا رسول الله إني أرسلت إلى البقيع يُشترى لي شاة فلم أجد، فأرسلت إلى جار لي قد اشترى شاة أن أرسل إليَّ بها بثمنها، فلم يوجد، فأرسلت إلى امرأته فأرسلت إليَّ بها، فقال رسول الله ﷺ :أطعميه الأسارى(٣).

وأما عصمة الله تعالى له فقد روى الصحابي جابر بن عبدالله «أنه غزا مع رسول الله ﷺ قِبَلَ نجد، فلما قفل رسول الله ﷺقفل معه، فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاه، فنزل رسول الله ﷺ، وتفرق الناس يستظلون بالشجر، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة وعلَّق سيفه، ونمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، وإذ عنده أعرابي فقال: إن هذا اخترط عليَّ سيفي

(١) رواه البخارى فى صحيحه٣/ ١١٦ من حديث أنس بن مالك.
(٢) رواه مسلم فى صحيحه٤/ ١٧٨٥.
(٣) أخرجه أبو داود بإسناد حسن (سنن٣/ ٦٢٧ حديث رقم ٣٣٣٢، ومسند أحمد٥/ ٢٩٤).

وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتًا، فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: الله - ثلاثًا -، ولم يعاقبه وجلس»[١].

ومما يدل على عصمة الله له ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: «قال أبو جهل: هل يعفِّر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم، قال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب. قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته. قال: فما فجَئَهُم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتَّقي بيديه. قال: فقيل له: ما لك؟ قال: إن بيني وبينه لخندقًا من نار وهولاً وأجنحةً، فقال رسول الله ﷺ: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا»[٢].

وأما إحساس النبات والجماد به ومخاطبته لهما، فمن ذلك حديث جابر بن عبدالله قال: «إن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله ألا أجعل لك شيئًا تقعد عليه، فإن لي غلامًا نجارًا؟ قال: إن شئت. فعملت له المنبر، فلما كان يوم الجمعة قعد النبي ﷺ على المنبر الذي صُنعَ، فصاحت النخلةُ التي كان يخطب عندها، حتى كادت أن تنشق، فنزل النبي ﷺ حتى أخذها فضمها إليه، فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكَّت حتى استقرَّت»[٣].

ومن ذلك قوله ﷺ: «إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن»[٤].

(١) صحيح البخاري ٣/ ٢٢٩.
(٢) رواه مسلم في صحيحه ٢/ ٢١٥٤.
(٣) رواه البخاري في صحيحه ٤/ ٣١٩.
(٤) رواه مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٨٢.

ومن ذلك حديث عائشة رضي الله عنها: «كان لآل رسول الله وحش، فكان إذا خرج رسول الله ﷺ اشتد ولعب في البيت، فإذا دخل رسول الله ﷺ سكن ولم يتحرك كراهية أن يؤذيه»(١).

وقد نهى رسول الله ﷺ رجلا من الأنصار عن أذى جمل قائلًا: «ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟ فإنه شكاك إليَّ، وزعم إنك تُجيعه وتُدئبه»(٢).

وقد رمى رسول الله ﷺ المشركين بالتراب في وجوههم في عدة مواقف من السيرة، فكان للتراب أثر في هزيمتهم. كما أخبر شهود عيان من الصحابة رضوان الله عليهم، فأخبر العباس بن عبدالمطلب وسلمة بن الأكوع أنه ﷺ لما غشيه المشركون في غزوة حنين، نزل عن بغلته فأخذ ترابًا أو حصيات من الأرض، ثم استقبل به وجوههم فقال: شاهت الوجوه. فما خلق الله منهم إنسانًا إلا ملأ عينيه ترابًا بتلك القبضة، فولوا مدبرين»(٣).

وقد أخبر عبدالله بن عباس: «أن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر، فتعاهدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، لو قد رأينا محمدًا قمنا إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله. قال: فأقبلت فاطمة تبكي حتى دخلت على أبيها، فقالت له ما علمت.... قال: يا بنية أدني وضوءًا فتوضأ، ثم دخل المسجد فلما رأوه قالوا: هو هذا. منهم رجل، فأقبل رسول الله ﷺ حتى قام

(١) رواه أحمد بإسناد حسن (المسند ٦/ ٢٠٩).
(٢) رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح (المسند ١/ ٢٥٠ و ٢٦٩).
(٣) رواه مسلم واللفظ لسلمة بن الأكوع (الصحيح ٣/ ١٣٩٨ و ١٤٠٢).

على رءوسهم، فأخذ قبضة من تراب فحصبهم بها، وقال: شاهت الوجوه. قال: فما أصابت منهم حصاة إلا قتل يوم بدر كافرًا»[١].

إذًا شهد المسلمون معجزات كثيرة لرسول الله ﷺ، كانت تزيدهم إيمانًا واستبشارًا، وكانت متنوعة في جنسها، متكررة في أوقات عديدة، ما بين تكثير الماء والطعام، حتى ليكفي ماء وطعام الاثنين والثلاثة عددًا كبيرًا، يبلغ الألف أو يزيد، وما بين تطبيب المرضى بالدعاء والمسح على موضع الأذى، وما بين الأخبار عن أمور مغيبة فتقع كما أخبر، وما بين انصياع الحيوان والنبات والجماد له وهي لا تعقل، وما بين عصمة الله له من القتل، واستجابة الله لدعائه. وقد مال بعض الباحثين إلى إنكار المعجزات الحسية، بحجة أنها لا تتمشى مع نمط التفكير العقلي الحديث. ولا تتقبلها الفلسفات الحديثة، ولا مناهج البحث المعاصرة.

وقد اعترف هؤلاء بالمعجزة القرآنية وحدها، لأنها محسوسة لأهل هذا العصر، يمكنهم دراستها والحكم على أوجه الإعجاز فيها، أما المعجزات الحسية التي وقعت للنبي ﷺ فلا يمكن إخضاعها للدراسة، ولا تتقبلها الأعراف العلمية السائدة. ونظرًا لأن المصادر الإسلامية الصحيحة نقلت أخبار المعجزات الحسية، فإن إنكارها فيه اتهام لشهود العيان من الصحابة رضوان الله عليهم بالكذب أو بضعف العقل وخلل التصور، بحيث نقلوا أخبارًا تصوروها صحيحة وليست كذلك، ولا يخفى ما في الاتهامين من إجحاف وتناقض، فقد قبلنا من نفس شهود العيان ما يتعلق بالعقيدة والشريعة، وتعرفنا على أخبار النبي ﷺ فلماذا قبلنا منهم رواياتهم في هذا كله، وأنكرناها عندما تعرضت لأخبار المعجزات الحسية، وإن كانت

(١) رواه الإمام أحمد بإسناد حسن (المسند ١/ ٣٦٨).

العلة أن العقل المـادي يرفض المعجزات، فإنه يرفض الوحي كله، ويرفض الإيمـان باللـه وبرسـالاته، فلا منـاص للمؤمن بالغيـب من قبـول الروايات الصحيحة المتعلقة بالمعجزات الحسية.

*****

obeikandl.com

منهج الرسول ﷺ في العبادة

لمحة عن الشعائر التعبدية في العهد المكي:

لم تصح رواية في تشريع الوضوء بمكة، ولكن ثمة روايات ضعيفة يسوقها ابن إسحاق مرة بمناسبة فرض الصلاة[١]، وأخرى في قصة إسلام عمر بن الخطاب[٢]، ويستشف من الآية المكية ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[٣] أن الوضوء شرع بمكة، وقد رجح ذلك السهيلي[٤]. وبه قال جمهور العلماء[٥].

برغم أن الآية الكريمة المتعلقة بالوضوء نزلت بالمدينة باتفاق، وهي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾[٦] وقد أسمتها عائشة رضي الله عنها آية التيمم، ربما للإشارة إلى أن الوضوء كان مفروضًا قبل أن يكون قرآنًا يتلى[٧].

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٢٤٤ حيث يسوق ابن إسحاق الخبر دون إسناد، وروى الحديث مسندًا إلى زيد بن حارثة لكن في إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف هنا.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٣٤٥.

(٣) المدثر: ٤ وراجع تفسيرها في ابن كثير ٤/ ٤٤١.

(٤) الروض الأنف ٣/ ١٣.

(٥) مسلم (بشرح النووي) ٣/ ١٠٢.

(٦) المائدة: ٦.

(٧) الروض الأنف ٣/ ١٣.

وكانت قبلة الصلاة بمكة نحو بيت المقدس، فكان النبي ﷺ يقف بين الركنين اليماني والأسود، فيجمع بين استقبال الكعبة وبيت المقدس[١].

وقد ورد ذكر الصلاة في عدة سور مكية مثل الآية ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾[٢] والآية ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[٣] و﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾[٤] و﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾[٥].

وتشير بعض الأخبار الضعيفة إلى أن أوائل المسلمين كانوا يصلون، لكنها لا توضح كيفية صلاتهم، ولا عدد ركعاتها إن كان فيها ركوع. ولكنها تذكر أن النبي ﷺ كان يخرج مع علي رضي الله عنه إلى شعاب مكة يصليان سرًّا[٦].

وأن الصحابة الخمسة الذين دعاهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه أسلموا وصلوا[٧]، على أن عائشة رضي الله عنها ذكرت في حديث صحيح: أن الصلاة كانت أول فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر[٨]، وبيَّن المزني - صاحب الإمام الشافعي - أن الصلاة قبل حادث الإسراء والمعراج كانت صلاة قبل غروب الشمس وصلاة قبل طلوعها[٩].

---

(١) مسلم (بشرح النووي) ٥/ ٩ و ١٠ وابن هشام ١/ ٣٤٧.
(٢) العلق: ٩ - ١٠.
(٣) طه: ١٣٢.
(٤) الأعلى ١٤ - ١٥.
(٥) المدثر ٤٢ - ٤٣.
(٦) أكرم العمري: الرسول في مكة ص ٦٥.
(٧) ابن هشام: السيرة ١/ ٢٥١ - ٢٥٢.
(٨) البخاري: الصحيح (فتح الباري (١/ ٤٦٤).
(٩) السهيلي: الروض الأنف ١/ ١١ - ١٢.

وفي حادثة الإسراء والمعراج قبل الهجرة بسنة - في رواية مرسلة للزهري - فرضت الصلاة في خمسة أوقات[١]، وحدد عدد ركعاتها، ثنتان للصبح، وثلاث للمغرب، وأربع للظهر والعصر والعشاء، في السفر والحضر، ثم قصرت الصلاة الرباعية بعد الهجرة إلى المدينة، فصارت ركعتين فقط للمسافر[٢].

وكان المسلمون في المرحلة المكية يؤدون الصلاة سرًّا[٣]، خوفًا من بطش المشركين، ونادرًا ما جهروا بصلاتهم كما فعلوا مرة عند إسلام عمر ابن الخطاب، حيث صلى معه بعضهم في[٤] الكعبة. وكان الكلام في الصلاة مثل رد السلام وتشميت العاطس مسموحًا به، ثم نُهِيَ عن الكلام في الصلاة بعد الهجرة الأولى إلى الحبشة من المرحلة المكية[٥].

وقد شرع قيام الليل بنزول سورة المزمل في المرحلة المكية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾[٦].

وفي المرحلة المكية شرعت الزكاة بمعناها العام، وهو الحث على الصدقات وإعطاء المحروم وإطعام المسكين دون تحديد للأنصبة

---

(١) مسلم (بشرح النووي) ٥/ ١٠٩.

(٢) البخاري: صحيح (فتح الباري ٧/ ٢٦٧ - ٢٦٨).

(٣) ابن هشام: سيرة ١/ ٢٦٣.

(٤) ابن هشام: سيرة ١/ ٣٤٢.

(٥) البخاري: صحيح (فتح الباري ٣/ ٧٢ - ٧٣ وابن القيم: زاد المعاد ٢/ ١١٨ - ١١٩ وابن كثير: البداية والنهاية ٣/ ٩٢.

(٦) المزمل: ١ - ٨.

والمقادير، فوصفت السور المكية المؤمنين بأنهم ﴿لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ ﴿وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ وأنه ﴿حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾[١]. أما تحديد النصاب ومقادير الزكاة فقد شرع في سنة اثنتين من الهجرة[٢].

وأما صلاة الجمعة فقد كانت قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، وقد تمكن المسلمون في المدينة من أدائها، فقد روى أبو داود بإسناد حسن قول كعب بن مالك الأنصاري: «أول من جمع بنا أسعد بن زرارة في هزم البيت، في نقيع يقال له: نقيع الخضمات.. وقال كعب: إنهم كانوا أربعين رجلا»[٣].

لقد تأخرت بعض الفرائض التي اعتبرت من أركان الإسلام إلى المرحلة المدنية مثل الصوم والحج، أما الصوم فقد كانت فرضيته يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان من السنة الثانية من الهجرة. وأما الحج فقد فرض سنة ست للهجرة، وقال ابن القيم: إن افتراضه كان سنة تسع.

ويتمثل منهج الرسول ﷺ في العبادة بإقامة الفرائض والإكثار من النوافل والاهتمام بالعبادات القلبية من ذكر وخشوع وإنابة برغم غفران الله له ورضاه عنه.

قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[٤]، وقد نزلت سورة الفتح في طريق عودة المسلمين من الحديبية

---

(١) انظر سورة «المؤمنون «الآيات ١ - ٤ وسورة الروم آية ٣٩، وسورة الذاريات الآيات ١٥ - ١٩ وسورة المعارج الآيات ١٩ - ٢٥.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ٣/ ٣٤٧.

(٣) سنن أبي داود ١٠٦٩ ومستدرك الحاكم ١/ ٢٨١ وسنن البيهقي ٣/ ١٧٦ - ١٧٧، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث عند الحاكم والبيهقي، وقال البيهقي: «وهذا حديث حسن الإسناد صحيح».

(٤) الفتح: الآيتان ١ ، ٢.

إلى المدينة، بعد عقد صلح الحديبية، وكان فرح الرسول ﷺ بها عظيمًا، لما فيها من إقرار لموافقته على الصلح، وتبشير للمسلمين بأن ما تم فتح لهم، لما وراءه من الخير الكثير الذي تحقق بانتشار الإسلام بعد الصلح، وكذلك فإن الآية أخبرت رسول الله ﷺ بالبشارة العظيمة ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾.

فما كان حال النبي الموعود بغفران الذنوب؟ هل ترك العمل وجنح إلى الراحة؟ وهل قلل ذلك الغفران من جده في العبادة واجتهاده في الجهاد، وهل قنع بما قدم وطوى صفحات الكفاح في السلم والحرب؟

إن رسول الله ﷺ لم يفعل ذلك، بل مضى دءوبا في ملء أشواق روحه، وتطلعات قلبه الذي انغمر بمحبة الله تعالى، ولم يعد يفيض إلا الذكر والشكر، قلبه الذي ينبض بذكر الله ويخفق بشكره لا يسعه إلا المضي في السبيل الذي اعتاده، لقد بلغ الستين من عمره أو كاد حين نزول سورة الفتح، وكان العقدان الأخيران حافلين بمهام جسيمة، تمثلت في حمل أعباء الرسالة وتبليغها، ومقارعة خصومها بالحجة والبيان في مكة، ثم بالحجة والسنان في المدينة، وهو في صراعه الطويل من أجل الحق لا يدع التزود من طاقات الروح الهائلة بوصلها بالخالق القدير، فكان كما قالت عائشة رضي الله عنها: «كان يصلي ليلاً طويلاً قائمًا، وليلاً طويلًا قاعدًا، فإذا قرأ وهو قائم ركع وسجد وهو قائم، وإذا قرأ وهو جالس ركع وسجد وهو جالس»[(١)].

ولم يكن يكلف نفسه فوق ما تطيق، بل يعمل ما يتيسر له حسب مراحل عمره وقوة جسده، فلما ثقل جسمه الشريف ولم يعد يطيق القيام الطويل في صلاة التطوع أخذ يصلي قاعدًا، قالت عائشة رضي الله عنها: «إن النبي ﷺ لم يمت حتى كان أكثر صلاته وهو جالس»[(٢)].

(١) مختصر الشمائل المحمدية ١٥٢ وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) مسلم: الصحيح رقم ١١٦.

وكان قيامه لصلاة الليل طويلاً، وكان أصحابه رضوان الله عليهم لا يطيقون ما يطيق. قال عاصم بن ضمرة، سألت عليًّا كرَّم الله وجهه عن صلاة رسول الله ﷺ فقال: «إنكم لا تطيقون ذلك»(١).

وعن عبدالله بن مسعود قال: «صليت ليلة مع رسول الله ﷺ فلم يزل قائمًا حتى هممت بأمر سوء. قيل له: وما هممت به؟ قال: هممت أن أقعد وأدع النبي ﷺ(٢)! «فعبدالله بن مسعود لم يكن يطيق - على ما عرف عنه من كثرة العبادة - ما يطيق رسول الله ﷺ حتى خطر في ذهنه أن يجلس في الصلاة، ويدع رسول الله قائمًا لفرط تعبه، لكنه لم يفعل وغالب الخطرة، لكنه لم ينس الموقف وأخبر الناس بطول صلاة رسول الله ﷺ ترغيبًا لهم في العبادة وحثًّا على الاقتداء بالنبي المغفور له، الذي يعبدالله تعالى تحت شعار: «أفلا أكون عبدًا شكورًا» فكيف بمن لا يدري إلى أين يصير إلى الجنة أم النار؟

لقد وصف لنا عبدالله بن عباس رضي الله عنه كيف يمضي رسول الله ﷺ ليله، فقد بات ابن عباس عند خالته ميمونة - وهي أخت أمه لأبيه -فشاهد ما حدَثَ وحدَّث به، قال: «فاضطجعت في عَرْض الوسادة، واضطجع رسول الله ﷺ في طولها، فنام رسول الله ﷺ حتى انتصف الليل، أو قبله بقليل، أو بعده بقليل، فاستيقظ رسول الله ﷺ، فجعل يمسح النوم عن وجهه، وقرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران. وقام إلى شنٍّ - أي قربة - معلَّق فتوضأ منها، فأحسن الوضوء ثم قام يصلي.

قال عبدالله بن عباس: فقمت إلى جنبه، فذكر صلاته اثنتي عشرة ركعة، ثم أوتر، ثم نام حتى جاءه المؤذن، فقام فصلى ركعتين خفيفتين، ثم خرج فصلى الصبح»(٣).

---

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن (مختصر الشمائل المحمدية ١٥٤).

(٢) مسلم: الصحيح ١/ ٥٣٧ رقم ٧٧٣.

(٣) صحيح البخاري ١/ ٥٣ وصحيح مسلم ١/ ٥٢٥ حديث رقم ٧٦٣.

وكانت قراءته للقرآن يمدُّها، ويقطِّعها فيقول: (الحمد لله رب العالمين) ثم يقف، ثم يقول: «الرحمن الرحيم» ثم يقف. وكان ربما أسرَّ بالقراءة، وربما جهر، وكان يرجِّع صوته بالقراءة - أي يرددها -، وكل ذلك ثابت عنه بالأحاديث الصحيحة(١).

وأحيانًا كانت قراءته تختلط ببكائه، ويُسمع نشيجه، كما في حديث عبدالله بن الشخير قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي، ولجوفه أزيز كأزيز المِرجل من البكاء. وكيف لا يتأثر رسول الله ﷺ بالقرآن فيبكي وهو أعرف الناس بالله، وأوعاهم بالحق الذي أنزل عليه، وقد عرف وأبصر من أمور الغيب في الإسراء والمعراج ومباشرة الوحي ما ملأه علمًا وخشيةً وفكرًا وتأملًا(٢).

وكان عليه الصلاة والسلام يحب أن يسمع القرآن بصوت الآخرين من الصحابة، مثل أبي بن كعب وعبدالله بن مسعود وأبي موسى الأشعري من أصحاب الحفظ والتجويد والأصوات الحسنة بالقرآن.

قال عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه -: «قال لي رسول الله ﷺ: اقرأ عليَّ. فقلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: إني أحب أن أسمعه من غيري. فقرأت سورة النساء حتى بلغت ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ قال: فرأيت عيني رسول الله تهملان» (متفق عليه)(٣).

---

(١) مختصر الشمائل النبوية ١٦٦ - ١٦٨.

(٢) أخرجه أبو داود رقم ٩٠٤.

(٣) الآية من سورة النساء ٤١، والحديث أخرجه البخاري: الصحيح ٦/ ١١٤ ومسلم: الصحيح حديث رقم ٨٠٠ والترمذي: سنن ٥/ ٢٣٨ وسنن أبي داود ٥/ ٧٤ حديث رقم ٣٦٦٨.

وروى الإمام البخاري بسنده إلى أنس بن مالك قال: إن نبي الله ﷺ قال لأبي بن كعب: إن الله أمرني أن أقرئك القرآن. قال: الله سمَّاني لك؟ قال: نعم. قال: وقد ذكرت عند رب العالمين؟ قال: نعم. فذرفت عيناه»[١].

وكان عليه الصلاة والسلام يعجبه صوت أبي موسى الأشعري، وقد شبهه لحسنه بمزامير آل داود.

وهكذا سمع القرآن بأصوات الصحابة رضوان الله عليهم.

وكان يصلي التطوع في بيته، ويؤم الصحابة في المسجد في الصلوات الخمس المكتوبة، وقد سئل عن الصلاة في البيت والمسجد، فقال: «قد ترى ما أقرب بيتي من المسجد، فلأن أصلي في بيتي أحب من أن أصلي في المسجد، إلا أن تكون صلاة مكتوبة[٢]»، وذلك لأن صلاة الجماعة في المسجد خمس أوقات تحقق أغراضًا نافعة؛ منها اجتماع المسلمين في الأماكن المتقاربة في مكان واحد مما يؤدي إلى تعارفهم وتعاونهم على البر والتقوى، وتفقدهم لأحوال بعضهم، ومنها إقامة شعائر الإسلام بمظهر يدل على القوة والغلبة للإسلام وأهله.

ثم إن صلاة المكتوبات في المسجد أعظم أجرًا، لأن صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة، كما أخبر الرسول ﷺ. وأما صلاة التطوع فإن أداءها في البيت بعيدًا عن الأعين يبعد بصاحبها عن الرياء والخيلاء، ويقربه من الإخلاص، ويجعله قدوة لأهل بيته ممن ليس يحضر صلاة الجماعة من النساء، وأصحاب الأعذار.

---

(١) فتح الباري ٨/ ٧٢٦ حديث رقم ٤٩٦١.

(٢) سنن أبي داود: ٩١٩.

وهكذا كانت صلوات رسول الله ﷺ في بيته في جوف الليل، وفي صلاة الضحى وفيما بين الصلوات المكتوبة، فقد جعلت قرة عينه في الصلاة، فهي معراج المؤمن، وكانت آخر ما أوصى به رسول الله ﷺ أصحابه، وهو يودع الدنيا وينتقل إلى الرفيق الأعلى: «الصلاة وما ملكت أيمانكم»(١).

وكان الرسول ﷺ يهدف إلى توثيق صلة القلب بالله بصورة دائمة، كما عبَّرت عائشة رضي الله عنها بقولها: «كان عمله دِيمةً» وقالت مرة وشاركتها القول أم سلمة، وقد سئلتا: أيّ العمل كان أحب إلى رسول الله ﷺ؟ قالتا: «ما ديم عليه وإن قلَّ»(٢).

وكان ينوِّع في عبادته ما بين صوم وصلاة وذكر وتعليم وجهاد، قال عوف بن مالك: كنت مع رسول الله ﷺ ليلة، فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي، فقمت معه، فبدأ فاستفتح البقرة، فلا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ ثم ركع، فمكث راكعًا بقدر قيامه، ويقول في ركوعه: سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة»، ثم سجد بقدر ركوعه، ويقول في سجوده: «سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة». ثم قرأ «آل عمران» ثم سورة ثم سورة، يفعل مثل ذلك»(٣).

وكان عليه الصلاة والسلام كثير الصوم. قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «كان يفطر من الشهر حتى نظن أن لا يصوم منه، ويصوم حتى نظن أن لا يفطر، وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصليًا إلا رأيته، ولا نائمًا إلا رأيته»(٤).

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه (الألباني: صحيح سنن ابن ماجة ٢/ ١٠٩ رقم ٢١٨١).
(٢) الألباني: مختصر الشمائل ١٦٤ - ١٦٥.
(٣) النسائي في سننه ٢/ ٢٢٣ وأحمد: المسند ٦/ ٢٤.
(٤) صحيح البخاري ٢/ ٤٦.

وقد ذكرت عائشة ﵂ «أنه كان يتحرى صوم الإثنين والخميس»[١]، وقد بين رسول الله ﷺ سبب تحريه الصوم يومي الإثنين والخميس بقوله: «تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم»[٢].

ومنهجه في الاتصال الدائم بالله لا يختل، سواء كان في صلاة أو صوم أو كان مضجعًا، قالت عائشة - ﵂ -: يا رسول الله أتنام قبل أن توتر؟ فقال: «يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي»[٣].

فقد كان يذكر الله على كل أحيانه، فإذا نام ذكر الله قائلا: «باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»[٤].

وإذا استيقظ قال: «الحمد الله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»[٥].

وعن عائشة ﵂ قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾. ثم يمسح ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات»[٦].

---

(١) الترمذي: سنن ٧٤٥ وابن ماجة سنن ٧٣٩ وإسناده صحيح (الإرواء ٤/ ١٠٥ و ١٠٦).
(٢) صحيح سنن الترمذي ١/ ٢٢٧.
(٣) صحيح البخاري ٢/ ٤٧ - ٤٨ وصحيح مسلم ١/ ٥٠٩ حديث رقم ٨٣٨.
(٤) صحيح البخاري ٧/ ١٤٩.
(٥) صحيح البخاري ٧/ ١٤٧.
(٦) صحيح البخاري ٦/ ١٠٦.

وعن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكافنا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي»(١).

فدعواته ﷺ عند النوم فيها معاني التسليم لله تعالى، وأنه لا حول ولا قوة للإنسان إلا بالله، وأن الله وحده المحيي والمميت، وإنه يستحق الحمد على النوم والاستيقاظ والطعام والشراب والكفاية عن سؤال الناس والإيواء بما يحمله من معاني الطمأنينة والستر، وما أعظم دلالات قوله عليه الصلاة والسلام: «فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي». نعم كم من الناس على وجه الأرض لا يجد كفايته ويسأل غيره العون، إن الجياع أكثر من الطاعمين، والعراة أكثر من الكاسين، ومن عندهم المال ولا يحسون بالكفاية، بل يدفعهم الطمع والحرص على جمع المال من كل سبيل إلى القلق وعدم الإحساس بكفايته.

ومن درس سيرة رسول الله ﷺ وعرف قلة ما عنده من طعام وأثاث وأشياء أدرك معنى الزهد والقناعة والإحساس بالكفاية.

ثم إن رسول الله ﷺ يعلم أصحابه أن ينظروا إلى من دونهم من الناس، ولا ينظروا إلى من فوقهم، فمن نظر إلى من دونه عرف عظيم نعمة الله تعالى عليه، وقنع بما أعطاه، وأحس الرضا بالقدر والحمد لله على الإيواء، فإن الإحساس بأن الله تعالى آوى العبد إليه، وهداه إلى سبيله، ونسبه إلى نفسه، وتولاه ولم يكله إلى سواه، يجعل العبد في غاية الثقة بحاضره وبمستقبله، فلا يقلق لمصاب، ولا ينخلع قلبه خوفًا من مواجهة الأحداث الثقيلة والتقلبات العنيفة، بل هو شامخ كالطود أمام أعاصير الحياة....

---

(١) صحيح مسلم ٤/ ٢٨٥ حديث رقم ٢٧١٥.

وكيف لا تطمئن نفس من آواه الله الذي أحاط بكل شيء علمًا، والذي لا تعزب عنه مثقال حبة في الأرض ولا في السماء، والذي ليس لقدرته حدود ولا لأمره رد؟

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من صلى الصبح فهو في ذمة الله، فلا يطلُبَنَّكم الله من ذمته بشيء، فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه، ثم يكبه على وجهه في نار جهنم»(١)

فأي أمان للإنسان أعظم من أمان الله، وأن يكون في ذمة الله وعهده وحفظه، وكان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح يقعد في مصلاه يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس(٢)، ثم لا يزال بعدها يشكر نعم الله، فإذا طعم طعامًا أو شرب شرابًا أو لبس جديدًا، دعا الله تعالى شاكرًا حامدًا، فإذا ارتفعت الشمس تطوع لله بأربع، وهي صلاة الضحى، وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول:

«أوصاني خليلي ﷺ بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى وأن أوتر قبل أن أرقد»(٣).

وفي الحديث القدسي أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل يقول: يا ابن آدم اكفني أول النهار بأربع ركعات أكفك بهن آخر يومك(٤)»، ولا يزال رسول الله ﷺ يحصن نفسه ليله ونهاره بالأدعية والأذكار، ويعلم أصحابه ذلك، فعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سيد الاستغفار أن تقول:

---

(١) صحيح مسلم ١/ ٤٥٥.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٤٦٣، ٤/ ١٨١٠ ومسند أحمد ٥/ ٩١.

(٣) مسلم: الصحيح ١/ ٤٤٩ وروى البخاري في صحيحه الوصية بركعتي الضحى ٢/ ٥٢.

(٤) رواه أحمد وأبو يعلى ورجال أحدهما رجال الصحيح، وأخرجه الترمذي (السنن ٢/ ٣٤٠ وقال: حسن غريب وأخرجه أبو داود: السنن ٢/ ١٣ وأحمد: المسند ٥/ ٢٨٦، ٢٨٧.

اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»[١].

وكان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه صلاة الحاجة وصلاة التوبة وصلاة الاستخارة، فكانوا يرتبطون بالله تعالى في صلوات كثيرة، فلا يخلو إنسان من ذنب كبير أو صغير، ففي الحديث: «كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»[٢]، ولا ينفك المرء عن حاجة تعرض له صغرت أو كبرت، فعن عثمان بن حنيف رضي الله عنه: أن أعمى أتى إلى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله ادع الله أن يكشف لي عن بصري. قال: أو أدعك. قال: يا رسول الله إنه قد شق عليَّ ذهاب بصري، قال: انطلق فتوضأ ثم صل ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيي محمد ﷺ نبي الرحمة. يا محمد: إني أتوجه إلى ربي بك أن يكشف لي عن بصري.. اللهم شفعه فيَّ وشفعني في نفسي، فرجع وقد كشف الله عن بصره»[٣].

*****

(١) رواه البخاري (صحيحه ٧/ ١٤٥).

(٢) صحيح سنن الترمذي ٢/ ٣٠٥.

(٣) رواه الترمذي (سنن ٥/ ٥٦٩) وقال: حسن صحيح غريب. وابن ماجة: سنن (صحيح سنن ابن ماجة ١/ ٢٣١ - ٢٣٢).

نبي الرحمة

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

فالرسول عربي قرشي معروف النسب، لم يطعن أحد في صحة نسبه، وكرم محتده، فمخاطبة الله تعالى للعرب بأن الرسول من أنفسهم، تذكير لهم بأنه لهم ناصح ومحب، وعليهم مشفق، وعلى هدايتهم حريص، وأنه بهم رفيق وعليهم مشفق، يشق عليه ضلالهم ويفرح لهدايتهم، ووردت أحاديث كثيرة تبين بعض مظاهر الرحمة المهداة، والمتمثلة بالمصطفى عليه الصلاة والسلام، فمن ذلك وفاته ﷺ قبل أمته، ليكون لها سلفًا، ففي الحديث: «إن الله ﷻ إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها، فجعله لها فرطًا وسلفًا بين يديها، وإذا أراد هلكة أمة عذَّبها، ونبيها حيٌّ، فأهلكها وهو ينظر، فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره»(٢).

ومن وقائع السيرة النبوية أن ثقيفًا آذت رسول الله ﷺ عندما ذهب إلى الطائف يدعوهم إلى الإسلام حتى رشقوه بالحجارة وأدموا قدميه، وخيَّره الله أن يعاقبهم فيطبق عليهم الجبال، فقال عليه الصلاة والسلام: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا»(٣).

وكان عليه الصلاة والسلام أَمَنًا لأمته في حياته، كما أن الاستغفار أمنٌ لها بعد وفاته، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا

---

(١) التوبة: ١٢٨.

(٢) صحيح مسلم ٤/ ١٧٩١ - ١٧٩٢ حديث رقم ٢٢٨٨.

(٣) صحيح البخاري (فتح الباري ٦/ ٣١٢ - ٣١٣) وصحيح مسلم ٣/ ١٤٢٠.

﴿كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[١]، وهو في حياته ومماته رحمة وخير للمؤمنين. قال عليه الصلاة والسلام: «حياتي خير لكم: تحدثون ويُحْدَث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض عليَّ أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شرٍّ استغفرت الله لكم»[٢].

وهو رحمة عامة كما في القرآن ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[٣]، كما أنه نور يضيء طريق الهداية للناس، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[٤].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة، أضاء من المدينة كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ أظلم كل شيء، وما فرغنا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا»[٥].

وقد منح الله تعالى الأنبياء دعوة مستجابة، فتعجلوها ودعوا بها، أما الرسول الكريم فقد ادخرها لأمته، كما في الحديث: «لكل نبي دعوة مستجابة فعجَّل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة»[٦].

وتتجلى في رسالة النبي الكريم كل معاني الرحمة، فقد رفع الله عن أمته الإصر والأغلال التي كانت على الأمم السابقة، فيسر لها الدين، ورفع عنها الحرج، ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٧].

---

(١) الأنفال: ٣٣.

(٢) رواه البزار كما في كشف الأستار ١/ ٣٩٧.

(٣)) الأنبياء:١٠٧.

(٤) الأحزاب ٤٥، ٤٦.

(٥) مسند أحمد ٣/ ٢٢٨ - ٢٦٨ والحاكم والمستدرك ٣/ ٥٧ وصححه ووافقه الذهبي.

(٦) متفق عليه واللفظ لمسلم (صحيح البخاري ٧/ ١٤٥ وصحيح مسلم ١/ ١٨٩ حديث رقم ١٩٩).

(٧) الحج:٧٨.

وقد امتلأت نفس الرسول الكريم بالرحمة، وأوصى أتباعه بأن يكونوا رحماء كما وصفهم القرآن ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾(١).

قال أنس بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «ما رأيت أحدًا كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ»(٢). وقال زيد بن حارثة: «أرسلت ابنة النبي ﷺ أن ابنا لي قبض فأتنا، فأرسل يقرئ السلام ويقول: إن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل عنده بأجلٍ مسمًّى فلتصبر ولتحتسب، فأرسلت إليه تقسم إليه ليأتينها، فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال، فرفع إلى رسول الله ﷺ الصبيُّ ونفسه تتقعقع ففاضت عيناه، فقال سعد: يا رسول الله ما هذا؟ فقال: هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده. وإنما يرحم الله من عباده الرحماء؟(٣).

وكان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه: «..... ولا تمثِّلوا ولا تقتلوا وليدًا»(٤).

وقد شملت رحمته ووصاته بالرحمة الحيوان فضلًا عن الإنسان، فعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا مع النبي ﷺ، فمررنا بقرية نمل قد أحرقت، فغضب النبي ﷺ، وقال: «إنه لا ينبغي لبشر أن يعذب بعذاب الله عَزَّوَجَلَّ»(٥).

---

(١) الفتح: ٢٩.

(٢) صحيح مسلم ٤/ ٢٣١٦.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٨٠ وصحيح مسلم ٢/ ٦٣٥ حديث رقم ٩٢٣.

(٤) صحيح مسلم ٣/ ١٣٥٧ حديث رقم ١٧٣١.

(٥) أحمد: المسند ١/ ٢٩٦ وأبو داود: السنن ٣/ ١٢٦.

عن سعيد بن جبير قال: «مر ابن عمر بنفر قد نصبوا دجاجة يترامونها، فقال ابن عمر: «من فعل هذا؟ إن رسول الله ﷺ لعن من فعل هذا»(١).

وقال رجل للنبي ﷺ: يا رسول الله إني لأذبح الشاة وأنا أرحمها، فقال النبي ﷺ: «والشاة إن رحمتها رحمك الله»(٢). وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، فليرح ذبيحته»(٣).

وكان الرسول الرحيم يضرب لأصحابه الأمثال، ويحكي لهم من أخبار الماضين ما يرسم في نفوسهم الرحمة، قال لهم مرة: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئرًا فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقي، فسقي الكلب فشكر الله له فغفر له. قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم لأجرًا؟ فقال: في كل كبد رطبة أجر»(٤).

وهذا غيض من فيض، وكله يشهد لهذا النبي الكريم بأنه «رحمة مهداة» وأنه غرس معاني الرحمة في أصحابه، وأوصاهم بها وملأ تعاليمه بذكرها، وشمل بها كل ذي روح من إنسان وحيوان، وسبق بذلك كل لوائح حقوق الإنسان الحديثة، وكل جمعيات البر والرفق بالحيوان مما يحسبه الناس من

---

(١) صحيح مسلم ٣/ ١٥٤٩ - ١٥٥٠ حديث رقم ١٩٥٨.

(٢) مسند أحمد ٣/ ٤٢٦.

(٣) صحيح مسلم ٣/ ١٥٤٨ حديث رقم ١٩٥٥.

(٤) متفق عليه (صحيح البخاري ٣/ ٧٧) وصحيح مسلم ٤/ ١٧٦١ حديث رقم ٢٢٤٤ واللفظ له.

خصائص الحضارة الغربية وعطائها.

فلا عجب أن كانت بعثته رحمة للعالمين، وأن يعبر عن جوهر رسالته بقوله عليه الصلاة والسلام: «يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة»[1].

وسوف تظل تعاليمه تمسح جراحات المعذبين، وتلمس حنايا المستضعفين، وتلين قلوب المتجبرين، وتملأ الحياة بالحب والدفء والرحمة.

*****

(١) الحاكم: المستدرك ١/ ٣٥ وصححه وأقره الذهبي.

obeikandl.com

محبة الرسول من الإيمان

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[1].

دلت هذه الآية على وجوب محبة الرسول ﷺ، ووضعت ميزانًا لهذه المحبة تقاس به، فليس المطلوب أن يحب المؤمن رسول الله كحبه لأبيه وبنيه وأهله وماله، بل ينبغي أن ترجح كفة محبة الله ورسوله على سائر ما يحب، فلا يكون في قلبه محبة لشيء تزيد على محبته للرسول ﷺ، لأن الرسول سبب خروجه من ظلمات الجهالة والضلال وسعادته بالعلم والهداية، وإنقاذه من ضنك الدنيا وعذاب الآخرة، فنعمة الإيمان الحاصلة بسببه أعظم من سائر النعم وأكبر من كل الفوائد، فحق على من أدرك عظمة هذه النعمة أن يحب من أوصلها إليه، وقد أدرك الصحابة رضوان الله عليهم هذه المعاني، فتعلقوا برسول الله أشد التعلق، وأحبوه أعظم الحب، وفدوه بالنفس والأهل والمال، قال صفوان بن عسَّال المُرادي: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فبينا نحن عنده إذ ناداه أعرابي بصوت له جهوري: يا محمد. فأجابه رسول الله ﷺ نحوًا من صوته: هاؤم. وقلنا له: ويحك اغضض من صوتك، فإنك عند النبي ﷺ، وقد نهيت عن هذا. فقال: والله لا أغضض، قال الأعرابي: المرء يحب القوم ولما يلحق بهم. قال النبي ﷺ: المرء مع من أحب يوم القيامة»[2].

---

(١) التوبة: ٢٤.

(٢) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح (سنن ٥/ ٥٤٥ حديث رقم ٣٥٣٥) وأخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ١١٢ - ١١٣ شاهدًا مختصرًا من حديث ابن مسعود، ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٣٤ حديث رقم ٢٦٤٠ شاهدًا مختصرًا أيضًا من حديث ابن مسعود.

ففي هذا الحديث بيان فضل حب الله ورسوله والأخيار الصالحين من المؤمنين.

قال أنس رضي الله عنه: فما فرحنا بعد الإسلام فرحًا أشد من قول النبي ﷺ (فإنك مع من أحببت)[١].

قال القرطبي: وإنما كان فرحهم بهذا القول عنه ﷺ أشد من فرحهم بسائر أعمال البر، أنهم لم يسمعوا أن في أعمال البر ما يحصل به ذلك المعنى من القرب من النبي ﷺ والكون معه إلا حب الله ورسوله، فأعظم بأمر يلحق المقصر بالمشمر، والمتأخر بالمتقدم، ولما فهم أنس أن هذا اللفظ محمول على عمومه علق به رجاءه وحقق فيه ظنه، فقال: أنا أحب الله ورسوله ﷺ وأبا بكر وعمر، فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بعملهم.

وقد بيَّن النبي ﷺ حدود المحبة اللازمة عندما قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «يا رسول الله أنت أحبُّ إليَّ من كل شيء إلا من نفسي» فقال: لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك. فقال له عمر: فإنك الآن والله لأنت أحب إليَّ من نفسي. فقال: الآن يا عمر»[٢].

وعلامة هذه المحبة اتباع الرسول ﷺ، وعدم التقدم عليه بالقول أو العمل، فلا يكون رأى الإنسان أحب إليه من حديث الرسول ﷺ وحكمه، وعلامة حدود المحبة وبلوغها المرتبة الواجبة أن تكون نصرة السنة والذب عن الشريعة أحب لديه من رعاية مصالحه والحفاظ على نفسه وأهله وماله

(١) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٣٢ حديث رقم ٢٦٣٩.
(٢) صحيح البخاري ٧/ ٢١٨.

وجاهه، لقول النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»(١).

وقوله: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»(٢).

قال البيضاوي: المراد بالحب هنا الحب العقلي الذي هو إيثار ما يقتضي العقل السليم رجحانه، وإن كان على خلاف هوى النفس؛ كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر عنه، ويميل إليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله، فإذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهى إلا بما فيه صلاح عاجل وخلاص آجل، والعقل يقتضي رجحان جانب ذلك، تمرن على الائتمار بأمره بحيث يصير هواه تبعا له، ويلتذ بذلك التذاذًا عقليًّا، إذ الالتذاذ العقلي إدراك ما هو كمال وخير من حيث هو كذلك. ومما يستدعي محبة الرسول التفكر في عظم رسالته وجهاده في تبليغها طيلة حياته، حرصًا على هداية أكبر عدد من الناس، حتى إن الله تعالى امتن على العباد ببعثته ﷺ، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(٣).

وجاء في صحيح مسلم عن معاوية رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على

(١) صحيح البخاري ١/ ٩، وصحيح مسلم ١/ ٦٧ حديث رقم ٧٠ واللفظ له.
(٢) صحيح البخاري ١/ ٩ وصحيح مسلم ١/ ٦٦ حديث رقم ٤٣.
(٣) آل عمران ١٦٤.

ما هدانا لدينه ومنَّ علينا بك.. فقال لهم: أتاني جبريل فأخبرني أن الله ﷻ يباهي بكم الملائكة»[١].

وهذه المحبة التي ربطت بين النبي ﷺ والصحابة ﷺ حملتهم على افتدائه بأرواحهم وأهليهم وأموالهم.

هذا أنس بن النضر رضي الله عنه رأى بعض المسلمين قعودًا محتارين بعد أن أشاع المشركون خبر مقتل رسول الله ﷺ في غزوة أحد، فصاح بهم: «واهًا لريح الجنة أجد دون أحد» فقاتل حتى قتل، ووجد في جسده بضع وثمانون أثرًا من بين ضربة ورمية وطعنة، حتى ما عرفته أخته الربيع بنت النضر إلا ببنانه، ونزلت فيه وفي أمثاله من المجاهدين الصادقين هذه الآية ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[٢].

وقد أرسل الرسول ﷺ زيد بن ثابت بعد المعركة يتفقد أنس بن النضر، فوجده بين القتلى وبه رمق، فما كان منه - بعد أن رد على سلام الرسول ﷺ إلا أن قال: «أجدني أجد ريح الجنة، وقل لقومي من الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن يخلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم شفر يطرف» وفاضت عيناه[٣].

---

(١) صحيح مسلم ص ٢٠٧٥ وسنن الترمذي حديث رقم ٣٣٧٩ واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري (فتح الباري ٦/ ٢١، ٧/ ٢٧٤، ٨/ ٥١٧).

(٣) الهيثمي: مجمع البحرين ٢/ ٢٣٩ من رواية ابن إسحاق بإسناد رجاله ثقات.

فيالها من وصية تفوح بالحب الذي لا يؤثر فيه الموت وآلام الجراح. وكان أبو طلحة الأنصاري يحمي الرسول ﷺ ويرمي بين يديه، ويقول: «لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك»[١].

وبرغم هذا الحب العميق لرسول الله ﷺ ومفاداتهم له بالنفس والنفيس، فإن عقائد المسلمين استقامت بفضل الله، فلم يتجاوزوا صفة النبوة، ولم ينسبوا إلى نبيهم صفات الألوهية، ولم يعبدوه من دون الله، بل كان صوته ﷺ يتردد في عقولهم (أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد)[٢] ومن قبله تذكير القرآن ببشرية الرسول ﷺ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾[٣].

وإنه يصيبه ما يصيب البشر ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[٤].

*****

(١) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ٣٦١).
(٢) صحيح سنن ابن ماجة ٢/ ٢٣٢.
(٣) الكهف: ١١٠.
(٤) آل عمران: ١٤٤.

أمهات المؤمنين

إن تصفح سيرة المصطفى ﷺ يعطي صورًا مشرقة عن خلقه الكريم عليه الصلاة والسلام في معاملة الناس جميعًا، ولكن سلوكه في بيته ومع أزواجه له دلالته الخاصة على رقة طباعه، وعمق عاطفته، وقدرته الفذة على مراعاة مشاعر أزواجه واحترام رغباتهن، ما دامت لا تخرج عن حدود الشرع وأحكامه.

هذه عائشة رضي الله عنها تحج معه ﷺ فتمنعها حيضتها من أداء العمرة مع الناس، فلما أراد الرسول ﷺ العودة إلى المدينة قالت: يا رسول الله تعودون بحج وعمرة، وأعود بحجة وحدها. فإذا بالرسول يشفق أن تعود زوجه وهي تشعر بفوات بعض الفضل والخير عليها، فيتوقف ويطلب من أخيها عبدالرحمن ابن أبي بكر رضي الله عنه أن يصحبها إلى التنعيم حيث تحرم بالعمرة[١].

وفي غزوة المريسيع (بني المصطلق) يوقف الجيش كله، لأن عقدًا لعائشة انفرط منها، فهي تجمع حباته بين الرمال.. وعندما تحضر الصلاة ولا يجد المسلمون الماء للوضوء، فتنزل آية التيمم، ويعبر أحد الصحابة عن إحساسه بالحب لأبي بكر واعترافه بفضل هذه العائلة وبركتها، يقول: «هذه إحدى بركاتكم يا آل أبي بكر»[٢].

وروى البخاري أنه ﷺ لما رجع من غزوة خيبر وتزوج صفية بنت حيي، كان يدير كساء حول البعير الذي تركبه يسترها به، ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته، فتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب!![٣].

---

(١) صحيح البخاري ٢/ ٢٠٠ - ٢٠١ (ط. استنبول).

(٢) صحيح البخاري (فتح الباري ١/ ٤٣١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب من غزا بصبي للخدمة (رقم ٢٨٩٣).

ولـم يكن هذا المشـهد بعيدًا عـن أعين الناس، بل كان على مشـهد من جيشـه المنتصر.. وكان يعلمهم أن الرسـول البشـر، والنبي الرحمة، والقائد المظفـر، لا ينقص من قدره أن يوطئ أكنافه لأهله، وأن يتواضع لزوجه، وأن يعينها ويسعدها.

ويتجلـى موقف رائـع يصور عظمة خلق الرسـول الكريـم، حين دخل علـى امـرأة كان قد عقـد عليها هي الجونيـة، روى البخاري مـن حديث أبي أسـيد السـاعدي قال: «خرجنا مـع النبي ﷺ حتى انطلقنا إلـى حائط يقال له الشَّـوط، حتـى انتهينا إلـى حائطين جلسـنا بينهما، فقال النبي ﷺ: اجلسـوا هاهنـا، ودخـل، وقد أُتِـيَ بالجونية، فأنزلت في بيت في نخـل في بيت أميمة بنـت النعمان بن شـراحيل، ومعهـا دايتهـا - حاضنة لها - فلمـا دخل عليها النبي ﷺ قال: هبي نفسك لي. قالت: وهل تهب المَلِكَةُ نفسَها للسُّوقة (ولم تعرف أنه رسول الله) قال: فأهوى بيده يضع يده عليها لتسكن. فقالت: أعوذ باللـه منـك. فقال: قد عـذتِ بمعاذ، ثم خرج علينا فقال: يا أبا أسـيد اكسـها رازقيَّين وألحِقْها بأهلها»[1].

لـم يغضـب رسـول اللـه ﷺ ولـم يعنِّف المـرأة، بل لـم يجهـر أمامها بطلاقها، وإنما أمر أبا أسيد أن يمتعها بالثياب ويعيدها إلى أهلها.

والمتأمل في سـيرة الرسـول ﷺ يشـهد الكثير من الأمثلـة الرائعة على حسـن ذوقه، وجميل طبعه، وكرم خلقه، وحسـن معاشـرته، ورفق معاملته، واعتدال مزاجه، وعدالة أحكامه، وصدق كلامه... وهذا الكمال الخلقي من أعظـم أدلة نبوتـه ﷺ. فقد كان الصدق يملأ حياته، ويحكم علاقاته، ويطبع

(١) صحيح البخاري (فتح الباري ٩/ ٣٥٦).

أقواله وأفعاله، فلا غرابة إذا كان أول المسلمين المؤمنين بدعوته هم أقرب الناس إليه وأعرفهم به، خديجة ﵂ زوجه، وعلى ﵁ ابن عمه، وأبو بكر الصديق صاحبه، وزيد بن حارثة مولاه، والكل ظلوا أوفياء لدعوة الإسلام طيلة حياتهم يفدونها بالنفس والنفيس.

ويشهد الإنسان طابع الصدق في علاقاته ﷺ بأزواجه، فهو الرسول البشر، ليس فيه تعاظم وكبرياء الأقوياء بجاههم أو غناهم، بل فيه سماحة الأنبياء، وندى العظماء، وسيرة الأتقياء، تجده يحنو على أزواجه ويعينهن، فيقمّ بيته بيده، ويحلب الشاة، ويخرز النعل، ويتلطف إليهن، ويداري غضبهن، ويعدل بينهن، ويراعي ما جبلن عليه من الغيرة، ويحتمل هفواتهن، ويرفق بصغيرتهن، وهكذا عاش الرسول البشر عيشة إنسان لا ملاك، تلتصق خطواته بالأرض وقلبه معلّق بالسماء، يهفو إلى ما عند الله، ويهتف متواضعًا: «إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد»(١).

ولنعرض لنماذج أخرى من حياة الرسول البشر في بيته: حيث تعيش أمهات المؤمنين في غرفتهن الصغيرة بجوار المسجد النبوي، تمتزج حياتهن بأصوات الأذان للصلوات، ويشهدن جموع الناس مقبلين مدبرين، يصلون ويستمعون لأحاديث الرسول ﷺ، ويشتركن في بيان تعاليم الإسلام، وخاصة في شؤون المرأة، حين يتعذر على النبي ﷺ - لحيائه - البيان. ثم لهن حياة خاصة مع الرسول ﷺ حافلة بالعبادة والعلم، مليئة بالعبر، دافقة بالخير. ولا تخلو من الجدل والخصومة حينا، والغيرة حينا آخر. قالت عائشة ﵂: «ما علمت حتى دخلت عليَّ زينب بغير إذن وهي غَضْبَى، ثم قالت: يا رسول الله أحسبك إذا قلبت لك بنية أبي بكر ذريعتيها - أي

(١) ابن سعد: الطبقات ١/ ٢٣ بإسناد صحيح.

ساعديها -؟ ثم أقبلت عليَّ، فأعرضت عنها، حتى قال النبي ﷺ: دونك فانتصري. فأقبلت عليها حتى رأيتها، وقد يبس ريقها في فيها، ما ترد عليَّ شيئا، فرأيت النبيَّ ﷺ يتهلل وجهه»[١].

وهنا نلمس تقدير النبي ﷺ لغيرة الضرائر من بعضهن، ومراعاته للفطرة، فقد ترك زينب تفرغ غضبها، وأذن لعائشة أن ترد عليها، وعدل بين زينب - وهي بنت عمه وزوجه - وعائشة - وهي بنت صاحبه وزوجه - ولم يغضب من هذه الملاحاة، فهي أمر طبيعي في حياة الضرائر. بل لم تتغير ملامح وجهه إلى العبوس لتكدير صفوه، بل علته ابتسامة رقيقة، وهو يشهد انتصاف عائشة من زينب.

وكانت زينب بنت جحش تطاول عائشة وتفاخرها في الحظوة عند رسول الله ﷺ، كما ذكرت عائشة في حديث الإفك[٢]، وكانت تفخر بأن الله تعالى زوجَّها من الرسول ﷺ، فأنزل في ذلك قرآنا ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾[٣].

أما عائشة رضي الله عنها فكانت البكر الوحيدة من أزواجه ﷺ، وكانت تُدِلُّ بذلك وتشير إليه بذكاء وفطنة امتازت بها، تقول: «يا رسول الله أرأيت لو نزلت واديًا وفيه شجرة قد أكل منها، ووجدت شجرًا لم يؤكل منها في أيها ترتع بعيرك؟ قال: في التي لم يُرتع منها. تعني أن رسول الله ﷺ لم يتزوج بكرًا

(١) البخاري: الأدب المفرد ٥٥٨ بإسناد صحيح.
(٢) ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٤٣١.
(٣) الأحزاب:٣٧.

غيرها»[١] وهذا الإدلال المقبول لا يخالف الحقيقة ولا يجانب الصدق، فليس من ضرر في استجابة الرسول ﷺ وإرضائه لهذا الإدلال والاعتزاز، وإدخاله بذلك السرور على قلب زوجه.

وكان رسول الله ﷺ يغضب إذا تجاوزت الغيرة حدها، واعتدت على حقوق الآخرين، فلم يكن زمام الموقف يفلت من يده، بل كان يبيّن الخطأ ويقوِّمه. قالت عائشة رضي الله عنها: «ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها، ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة. فربما قلت له: كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة؟ فيقول: إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد»[٢].

وهكذا كان عظيم وفائه لزوجه خديجة أول من آمن به وآزره، وتحمل معه أعباء دعوته، فكان يذكرها دائما ويثني عليها أبدًا، ويصل صديقاتها ومعارفها، ويفرح للقاء أقاربها ويكرمهم، حتى غارت أم المؤمنين عائشة لإكثاره من ذلك، وإلا فهل يغار الحي من الميت!!

ولم يمنعه حبه لعائشة أن يصرح بفضل خديجة ومكانها في قلبه، ولو في ذلك الموقف الذي ظهرت فيه غيرتها، بل لم يكتم حبه لها، وقد مضت على وفاتها أكثر من خمس سنين؟ فقال لعائشة: «إني قد رزقت حبها»[٣]! فما أعظم وفاءه، وما أرحب قلبه، وما أصدق لسانه، وما أصرح وأفصح تعبيره!؟

إن محمدًا الرسول البشر لا يجد غضاضة في أن يحب امرأته، وأن يصارحها بذلك، معبرًا عن عاطفة خيرة، ويكتم كثيرون سواه عواطفهم

---

(١) صحيح البخاري (فتح الباري ٩/ ١٢٠).

(٢) متفق عليه واللفظ للبخاري (فتح الباري ٧/ ١٣٣).

(٣) صحيح مسلم ٤/ ١٨٨٨ حديث رقم ٢٤٣٦.

تجاه أزواجهم، لئلا يخدش كبرياؤهم، أو يقل احترامهم فيما يحسبون وهم مخطئون. روى البخاري عن عمرو بن العاص أنه قال لرسول الله ﷺ: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة(١).

وكان عليه الصلاة والسلام يراعي صغر سن عائشة رضي الله عنها وحبها للعب مع صديقاتها، قالت عائشة: «كنت ألعب بالبنات - أي اللُّعب - عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه - أي يختفين - فيسربهن إليَّ فيلعبن معي»(٢). وكانت عائشة رضي الله عنها توصي المسلمين بمراعاة ذلك مع أزواجهم حديثات السن، تقول: «رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد، حتى أكون أنا الذي أسأم، فأقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو»(٣).

وهكذا سبق الإسلام نظريات التربية الحديثة في إعطاء الحرية للصغير في اللعب والتسلية البريئين.

بل قد ذكرت عائشة رضي الله عنها: «أنه كان لها بنات - تعني اللُّعب - وكان إذا دخل النبي ﷺ استتر بثوبه منها. قال أبو عوانة: لكيلا تمتنع(٤).

ولم يجد الرسول ﷺ غضاضة في أن يسابق عائشة رضي الله عنها مرتين في منأى عن الناس لإدخال السرور على قلبها. قالت عائشة رضي الله عنها: «خرجت مع

(١) متفق عليه (صحيح البخاري ٨/ ٧٤ وصحيح مسلم ٤/ ١٨٥٦ حديث رقم ٢٣٨٤).
(٢) صحيح مسلم ٤/ ١٨٩٠ حديث رقم ٢٤٤٠.
(٣) متفق عليه (صحيح البخاري - فتح الباري ٩/ ٣٣٦. وصحيح مسلم ٢/ ٦٠٩).
(٤) ابن سعد: الطبقات ٧/ ٦٥ بإسناد صحيح.

النبي ﷺ في بعض أسفاره، وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: تقدموا. فتقدموا، ثم قال لي: تعالي أسابقك، فسابقته فسبقته، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت، خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: تقدموا. فتقدموا، ثم قال لي: تعالى حتى أسابقك، فسابقته فسبقني، فجعل يضحك، وهو يقول: هذه بتلك»[(١)].

وكان يتلطف معها بالكلام ويداعبها، قال لها مرة: إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عليَّ غضبى. قالت: ومن أين تعرف ذلك؟

قال: أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد. وإذا كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم. قالت: قلت: أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك»[(٢)].

فما أحسن هذه المعاشرة وما ألطف رسول الله ﷺ وما أحسن خلق عائشة رضي الله عنها مع زوجها الرسول الكريم.

وكان رسول الله ﷺ رقيق الطبع، حسن العشرة، عميق العاطفة، لكن هذه الخصال لم تؤثر على التزامه الدقيق بالعدل بين نسائه أمهات المؤمنين، وهو التزام بشرع الله تعالى، الذي بلغه للناس، وبينه لهم، قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾[(٣)].

والرسول ﷺ تزوج في شبابه خديجة رضي الله عنها، ولم يتزوج عليها حتى توفيت، فتزوج سودة بنت زمعة رضي الله عنها، ثم عائشة، ثم حفصة، ثم زينب بنت

---

(١) أحمد: المسند ٦/ ٢٦٤ بإسناد حسن، وأبو داود: السنن ٢/ ٢٨ مختصرا.

(٢) متفق عليه (صحيح البخاري كما في فتح الباري ٩/ ٣٢٥ وصحيح مسلم ٤/ ١٨٩٠ حديث رقم ٢٤٣٩.

(٣) النساء: ٣.

خزيمة، ثم أم سلمة بنت أبي أمية، ثم جويرية بنت الحارث، ثم زينب بنت جحش، ثم أم حبيبة بنت أبي سفيان، ثم ميمونة بنت الحارث.

وقد اجتمعت النسوة التسع في حياته ﷺ، وهذا من خصائصه لأن الإسلام لم يبح الجمع - بالزواج - لأكثر من أربع من النساء.

وكانت لكل زوجة غرفة صغيرة، فيها أثاث بسيط لا يكاد يزيد ثمنه على عشرة دراهم. وكان زواجه من كل واحدة يتصل بهدف يحقق مقاصد الإسلام، فعائشة رضي الله عنها تمتاز بحدة الذكاء، وصفاء الذهن، وجودة القريحة، فحفظت من تعاليم الرسول ﷺ الكثير، فنفعت وانتفعت، حتى بلغ عدد أحاديثها التي روتها عشرة ومائتين وألفي حديث. ولو قورنت رواياتها بعدد روايات أمهات المؤمنين الأخريات لاتضحت الحكمة من هذا الزواج، فإن أكثرهن حديثا بعد عائشة هي أم سلمة بنت أبي أمية، ولم يتجاوز عدد أحاديثها ثمانية وسبعين وثلاث مئة حديث، وشتان ما بين الرقمين! وأما الأخريات فقد روت ميمونة ستة وسبعين حديثا، وروت أم حبيبة بنت أبي سفيان خمسة وستين حديثا، وروت حفصة بنت عمر ستين حديثا، وروت كل من جويرية وسودة بنت زمعة خمسة أحاديث، وروت زينب بنت جحش تسعة أحاديث، وروت صفية عشرة أحاديث، ولم ترو زينب بنت خزيمة شيئا، فلو جمعنا حديث سائر أمهات المؤمنين لبلغت ثمانية وست مئة حديث فقط، وهي أقل من ثلث عدد أحاديث عائشة!!

هذا فضلا عن فقهها وفتاويها وخاصة في شؤون المرأة. وكان زواجه من عائشة رضي الله عنها بعد رؤيا تكررت، مما يدل على أن الزواج منها كان بإرشاد الوحي، لأن رؤيا الأنبياء حق، وهي جزء من الوحي، روى البخاري قالت

عائشة: «قال رسول الله ﷺ» أريتك قبل أن أتزوجك مرتين، رأيت الملك يحملك في سَرَقة من حرير، فقلت له: اكشف، فكشف فإذا هي أنت. فقلت: إن يكن هذا من عند الله يُمْضِه». وقد تكررت الرؤيا كما أخبر عليه الصلاة والسلام[١]. أما سودة بنت زمعة رضي الله عنها فكانت ثيبًا كبيرة السن، تزوجها على إثر وفاة خديجة رضي الله عنها، لترفق بأولاده الصغار من خديجة، وتطييبًا لخاطرها، فقد كانت زوجة للسكران بن عمر، وكان مسلمًا فهاجر بها إلى الحبشة، ثم رجعا فمات زوجها بمكة، وكان أبوها شيخًا كبيرًا أقعدته السن، وكان أخوها عبد بن زمعة مشركًا عنيدًا، حتى حثَا التراب على رأسه عندما علم بزواجها من رسول الله ﷺ[٢]. أفليست هذه الظروف المحيطة بهذا الزواج تكشف عن طبيعة دوافعه وحقيقة مقاصده. من حماية الأيِّم وحضانة الأولاد؟.

ولما كبرت سودة خشيت أن يطلقها الرسول ﷺ، فآثرت عائشة رضي الله عنها بيومها وليلتها، لتبقى في عصمة الرسول ﷺ[٣]، فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[٤] قالت عائشة في سبب نزول الآية: لا يستكثر منها، فتكون لها صحبة وولد، فتكره أن يفارقها، فتقول له: أنت في حل من شأني»[٥].

وهكذا بقيت سودة في عصمة الرسول ﷺ حتى وفاته، لتبعث في أزواجه يوم القيامة.

---

(١) متفق عليه (صحيح البخاري ٨/ ٧٥ - ٧٦ وصحيح مسلم ٤/ ١٨٩٠ حديث رقم ٢٤٣٨).

(٢) مسند أحمد ٦/ ٢١١ بإسناد حسن كما في فتح الباري ٧/ ٢٢٥.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٠٨٥ حديث رقم ١٤٦٣ ورقم ١٤٦٤. وانظر الأحاديث في سنن أبي داود ٢/ ٦٠١ - ٦٠٢ وسنن الترمذي ٥/ ٢٤٩ وقال: حسن غريب.

(٤) النساء:١٢٨.

(٥) صحيح البخاري (فتح الباري ٨/ ٢٦٥ وصحيح مسلم ٤/ ٢٣١٦).

وأما حفصة بنت عمر رضي الله عنهما فقد توفي زوجها الصحابي خنيس بن حذافة السهمي بالمدينة، فتزوجها رسول الله ﷺ إكرامًا لأبيها.

وأما زينب بنت خزيمة فكانت متزوجة من عبيدة بن الحارث، فاستشهد بعد بدر، فتزوجها رسول الله ﷺ جبرًا لخاطرها.

وأما أم سلمة بنت أبي أمية فقد مات زوجها أبو سلمة بالمدينة، بعد إصابته بجراح في أحد تاركًا معها ولدين وبنتين، فتزوجها رسول الله ﷺ تكريمًا لها ورعاية لأولادها.

وأما جويرية بنت الحارث فكانت بنت رئيس قبيلتها بني المصطلق، وقعت أسيرة مع نساء قبيلتها، فكانت في سهم ثابت بن قيس بن شماس، فكاتبته، ثم جاءت إلى رسول الله ﷺ تستعينه في قضاء المكاتبة، فعرض عليها الزواج، وقضى عنها كتابتها وتزوجها، فلما علم الناس بذلك أطلقوا سائر السبي، وقالوا: أصهار رسول الله، فأعتقوا سائر السبي «فما كانت امرأة أعظم على قومها بركة منها»، وقد قصد الرسول ﷺ بالزواج منها تكريمها، وتأليف قلوب قبيلتها، وإطلاق سبيهم، وقد أثمرت هذه المعاملة الحكيمة ثمرتها، فأسلم بنو المصطلق.

وأما زينب بنت جحش فهي ابنة عمة رسول الله ﷺ، زوَّجها الرسول ﷺ من مولاه زيد بن حارثة، فكانت لا تشعر بأنه كفؤ لها لمكانها من قريش، مما أدى إلى إخفاق الزواج، وقد تدخل الرسول ﷺ للإصلاح بينهما دون جدوى، حتى نزل الوحي الإلهي يأمره بالزواج منها، لإبطال عادة جاهلية تتمثل بالتبني، وما كان يترتب عليه من آثار، منها عدم زواج الرجل من زوجة متبناه، وقد شق الأمر على الرسول ﷺ، ولم يكن وسعه إلا طاعة

أمـر اللـه، فكان أن تـزوج منها، ولو كان الأمـر يتعلق برغبة فـي الزواج منها لفعل قبل أن يزوجها من مولاه زيد.

وأمـا صفيـة فقد كانت سـيدة قومها، ووقعت في السـبي في غزوة خيبر فأسلمت، فأعتقها الرسول ﷺ وتزوجها، حفاظًا على مكانتها.

وأمـا ميمونـة بنـت الحـارث فكانـت أرملـة كبيرة السـن، وهـي قريبة الرسول ﷺ، ولم تمكث بعد زواجها إلا يسيرًا.

وبعـد هـذا العـرض لملابسـات زواجه ﷺ تتبيـن حقيقـة مقاصده من الـزواج، وهـي مقاصد الإسـلام في تأليـف قلـوب النـاس، واجتذابهم إلى الإسـلام، ورعاية الأرامل، وتربية اليتامى، وحفـظ تعاليم الدين، وخاصة ما يتعلق منها بشؤون المرأة.

أفبعد هذا يجترئ المتشدقون، فيمدون ألسنتهم بالأراجيف الباطلة، والتهم الكاذبة، لتشويه صفحة طاهرة من جوانب حياة النبي الكريم، وكأنه أمضى حياته في النعيم، وقضى وقته مع الزوجات العديدات، متناسـين زهده وشـظف عيشـه حتـى ضاقت بذلك أمهات المؤمنين، وطلبن التوسـعة عليهن في النفقة، فنزلت آيـة التخيير، وهي قوله تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

فأمـره اللـه تعالـى أن يخيِّر أزواجه بيـن بقائهن معه، واحتمالهن عيشـه وزهـده، وبيـن الطـلاق مـع إعطائهـن حقوقهـن وتكريمهن، وقـد اختارت

(١) الأحزاب: ٢٨، ٢٩.

أمهات المؤمنين البقاء في عصمته. وقد ذكرت عائشة «أن رسول الله ﷺ جاءها حين أمر الله أن يخير أزواجه» قالت: فبدأ بي رسول الله ﷺ فقال: «إني ذاكر لك أمرًا فلا عليك أن تستعجلي حتى تستأمري - أي تستشيري - أبويك، وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه.

قالت: ثم قال: إن الله قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾ إلى تمام الآيتين، فقلت له: ففي أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة[1].

وأما بقية أزواجه ﷺ فقلن كما قالت عائشة، فصبرن على ضيق النفقة وقلة المئونة، برغم أنهن من عقيلات قريش والعرب، وعشن قبل الزواج في ثراء الآباء، وتذوقن رغد العيش، واعتدن الحياة الكريمة، لكنهن آثرن عند تخييرهن الله ورسوله والدار الآخرة.

وقد استفاضت الروايات في بيان قلة الطعام في بيوت رسول الله ﷺ، فما كان أهله يشبعون من خبز الشعير يومين متتاليين، وكان جل طعامهم التمر، وحتى التمر ما شبعوا منه حتى فتحت خيبر، وأما اللحم وخبز البر والسمن والقثاء فقلما كانوا ينالونه، وقد يمضي عليهم الشهر والشهران ما يوقدون نارا تحت قدر لا لخبز ولا لطعام إلا نادرًا، مكتفين بالتمر والماء، وقد يبيتون الليالي طاوين، لا يجدون عشاء، لقد خيِّرن فاخترنَّ متطلعات إلى الرفيق الأعلى، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾.

لقد انتبه كارلايل (Carlyle) إلى ظاهرة الزهد في حياة الرسول ﷺ فقال: «لم يكن محمد في حياته الشخصية من عشاق اللذة على الإطلاق،

---

(١) متفق عليه (صحيح البخاري كما في فتح الباري ٨/ ٥١٩، وصحيح مسلم ٢/ ١١٠٣ حديث رقم ١٤٧٥).

فقد كان متاع بيته يعد من أكثر الأمور اعتدالاً، ومع ذلك فلم يحظ أي قيصر بتاجه بالطاعة، مثلما حظي هذا الرجل بردائه الذي كان يرقعه بيده»[١]

واعتبر دروزة هذه الحادثة وما نزل فيها من القرآن «أقوى رد على سفهاء المبشرين ومغرضي المستشرقين، الذين حاولوا النيل من أخلاقه الكريمة في نسبتهم حب الدنيا ومباهجها وشهواتها إليه، مع ما كان منه من استغراق في الدعوة وابتعاد عن ذلك في مكة، وتبدو قوة الرد حينما يلاحظ أن الآيات قد نزلت في أواسط العهد المدني، وبعد أن تمكن من القضاء على أعدائه..»[٢].

إن قصة زواجه من أم المؤمنين زينب بنت جحش أثارت جدلًا طويلًا، لذلك يلزم تفصيل خبر هذا الزواج الذي نزل فيه قرآن.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[٣].

لقد ورد في صحيح البخاري أن هذه الآية نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة، وزينب هي بنت عمة الرسول ﷺ أميمة بنت عبدالمطلب، وزيد بن حارثة عربي من بني كعب، وقع في السبي في غارة

---

(١) سيرة الرسول في تصورات الغربيين لجوستاف بفانمو للمر g.pfannmule ترجمة د. محمود حمدي زقزوق (ضمن بحوث مجلة مركز بحوث السنة والسيرة في قطر. العدد الثاني ١٤٠٧هـ (١٩٨٧ م) ص١٣٠

(٢) محمد عزة دروزة: سيرة الرسول ١/ ٥٦.

(٣) الأحزاب:٣٧.

على قوم أمه بني معن من طيء، فأشتُري لخديجة أم المؤمنين ﵂ فوهبته لرسول الله ﷺ، وقد رباه رسول الله وأحبه، حتى ما كان يدعى إلا زيد بن محمد، كما في حديث ابن عمر ﵄ في الصحيحين[1]. وقد حاول حارثة والد زيد استعادة ابنه، فرفض الابن إلا البقاء مع رسول الله ﷺ. وقد زوجه الرسول الكريم بمولاته أم أيمن، ثم زوجه ابنة عمه زينب بنت جحش، وقد نزلت الآيات الكريمة في شأن هذا الزواج الذي لم يكتب له التوفيق، والذي سجل اسم زيد في كتاب الله تعالى حيث انفرد بهذا الذكر من بين سائر الصحابة.

ويظهر من مجموع الروايات التي يسوقها الطبري في تفسيره[2] أن الرسول ﷺ حين خطب زينب بنت جحش لزيد بن حارثة، استنكفت منه، وأعلنت عدم رضاها به، وقالت: أنا خير منه حسبًا، وكانت امرأة فيها حدَّة، فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ فأسلمت زينب أمرها لله ولرسوله كانت امرأة عابدة أوَّاهة، فتزوجت زيدًا دون رغبة فيه.

والحق أن الوحي الإلهي تدخل مباشرة في عقد هذا الزواج، كما تدخل أخيرًا في فصم عراه، فهو زواج يهدف إلى تحقيق أمر الله ﷻ في تغيير عرف ساد الحياة العربية في الجاهلية، وتأصل فيها حتى صارت له قدسية العقائد واحترام المحارم، ذلك هو نظام التبني، بحيث ينسب الابن المتبنى إلى متبنيه بدلا من أبيه، وتترتب على ذلك حقوق الميراث والحرمة، تماثل حقوق الأبوة على البنوة من الصلب. ولا يخفى ما في ذلك من افتئات على

(١) صحيح البخاري (فتح الباري ٨/ ٥١٧) وصحيح مسلم ٤/ ١٨٨٤ حديث رقم ٢٤٢٥).
(٢) تفسير الطبري ٢٢/ ٩ - ١١.

الفطـرة ومجانبة للعدل، وتجاوز على الأنسـاب، فضلاً علـى أن التحريم لا يكون إلا بوحي إلهي، ولا يستطيع البشر ولو اجتمعوا أن يقرروا حرمة شيء أو حله.

ولكـن كيـف تبطل هذه العـادة، فيقلع النـاس عن التبنـي، وينتهون عن التحريم من دون وحي إلهي؟

لقـد اتجـه الوحي الإلهـي إلى التعامل مـع الواقع القائم بصـورة عملية كفيلة بالتغيير مباشـرة، دون الاكتفاء بالإعلان النظري، وهذا التغيير الواقعي أقوى أثرًا وأسرع في إحداث التغيير، فإقرار العدل يحتاج إلى سرعة التغيير، واجتثـاث الانحراف والظلم، فكانت قصـة زواج زينب بنت جحش من زيد وقصـة انفصالهمـا تحكي تدخل الوحي في أولهـا وآخرها، لإحداث التغيير السريع في الواقع القائم... وهكذا كان.

نزلت زينب على قضاء الله ورسـوله، فتزوجت زيد بن حارثة، ولم يتم التوافق بين الزوجين، وكلما اشـتكى زيد زوجه للرسـول ﷺ قال له: أمسك عليـك زوجـك. مع علمـه ﷺ بقضاء اللـه تعالـى، وتقديره زواجـه من ابنة عمته زينب بعد طلاق زيد لها... وعلمه هذا كان يخفيه في نفسـه، فمواجهة الأعراف المسـتقرة في قضية خطيرة كانت أمـرًا ثقيلًا، إذ كيف يتزوج زوجة ابنه - في عرف نظام التبني الجاهلي - ماذا تقول العرب، وماذا يقول ضعاف الإيمان من المسلمين؟

لـم تكـن زينـب بعيدة عن رسـول الله ﷺ، بـل كانت تحـت عينه وفي رعايتـه، فلـو كانـت له رغبة فـي الزواج منها لمـا زوجها من زيـد بن حارثة، ولكن ما كان له بد من تنفيذ قضاء الله.

لم يطق زيد العيش مع زوج لا تألفه، فكان أن طلقها، فلما انقضت عدتها أرسل الرسول ﷺ زيدًا نفسه يخطبها له، ففعل زيد ذلك، وبذلك تبين أنه ما كان راغبًا في استمرار زواجه بها، وكان راضيًا عن زواجها برسول الله ﷺ، إذ هو الذي قام بالخِطبة، وقد ذهب زيد إلى زينب خاطبًا لرسول الله ﷺ، فلما رآها هابها واستجلّها من أجل إرادة النبي ﷺ تزوجها، فعاملها معاملة أمهات المؤمنين في الإعظام والإجلال والمهابة، كما يقول الإمام النووي شارح صحيح مسلم(١).

ويروي زيد بن حارثة قصة الخِطبة كما في رواية صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك، قال: «فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمِّر عجينها. قال: فلما رأيتها عظمت في صدري، حتى ما أستطيع أن أنظر إليها، أن رسول الله ﷺ ذكرها، فوليتُها ظهري، ونكصت على عقبي، فقلت: يا زينب أرسل رسول الله ﷺ يذكرك. فقالت: ما أنا بصانعة شيئًا حتى أؤامر ربي، فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن..»(٢).

وكان ذلك في ذي القعدة في السنة الثالثة أو الرابعة أو الخامسة على اختلاف الروايات قبل غزوة بني المصطلق، وقصة زواجها ترتبط بنزول الحجاب. فقد روى البخاري في «صحيحه» من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله ﷺ المدينة، فكان أمهاتي يواظبنني على خدمة النبي ﷺ فخدمته عشر سنين، وتوفي النبي ﷺ وأنا ابن عشرين سنة، فكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل، كان أول ما أنزل في مبتنى رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش، أصبح النبي ﷺ بها عروسًا، فدعا

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٩/ ٢٢٨.
(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٠٤٨ (ط. استنابول).

القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا، وبقي رهط منهم عند النبي ﷺ فأطالوا المكث، فقام النبي ﷺ فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا، فمشى النبي ﷺ ومشيت معه، حتى جاء عتبة حجرة عائشة، ثم ظن أنهم خرجوا فرجع ورجعت معه، حتى إذا دخل على زينب، فإذا هم جلوس لم يقوموا، فرجع النبي ﷺ ورجعت معه حتى إذا بلغ عتبة حجرة عائشة وظن أنهم خرجوا، فرجع ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا، فضرب النبي ﷺ بيني وبينه بالستر، وأنزل الحجاب»[(١)].

وكان رسول الله ﷺ صبيحة زواجه بزينب قد أولم عليها بشاة واحدة، وهي أعظم ما أولم على زوجة من أزواجه، كما في حديث أنس بن مالك الذي تقدم.

وكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ، تقول: زوجكن أهلوكن، وزوَّجني الله تعالى من فوق سبع سماوات، كما في صحيح البخاري[(٢)].

وهكذا كانت حادثة الزواج خرقًا لعرف جاهلي سائد، كان يؤدي إلى توارث باطل يحجب أصحاب الحقوق الفعليين. ويحرِّم زواج الرجل من امرأة تحل له، بزعم أنها كانت زوجة ابنه، وإنما هو متبناه. قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[(٣)]. ولم يكن للنبي ﷺ ابن بالغ مبلغ الرجال حين الخطاب، وقال تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ

(١) متفق عليه (صحيح البخاري كما في فتح الباري ٩/ ٢٣٠ وصحيح مسلم ٢/ ١٠٥٠).
(٢) صحيح البخاري كما في فتح الباري ١٣/ ٤٠٣.
(٣) الأحزاب آية: ٤٠.

لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾(١).

فالعدل ألا يحرم الوالد من نسبة ولده إليه، وأن تعود حقوق الإرث والحرمات إلى ما شرع الله تعالى في ذلك دون أهواء الناس وأعراف الجاهلية.

وقد يتصور البعض أن زيدًا رضي الله عنه لم يكن كفئًا للقرشيات، فالحق خلاف ذلك، فهو من أوائل المسلمين السابقين، زوجَّه رسول الله بعد طلاقه زينب من عقيلات قريش: أم كلثوم بنت عقبة، وأروى بنت كريزة، ودرة بنت أبي لهب وهند بنت العوام أخت الزبير.

وقد أملت الأهواء على بعض الرواة الضعفاء روايات لا يؤبه لقائلها بأن ما كان النبي ﷺ يخفيه هو محبة زينب ورغبته في الزواج منها، والحق أن الوحي الإلهي أوضح علة هذا الزواج بقوله تعالى: ﴿لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾.

وقد أشارت الآية إلى أن الله تعالى أنعم على زيد بالإسلام، وأن محمدًا ﷺ أنعم عليه بالعتق والحرية، وارتضاه زوجًا لابنة عمته، وحاول جاهدًا الإصلاح بينهما، وكتم العلم بما سيكون من زواجه منها حتى طلقها زيد رضي الله عنه فخطبها وتزوجها بأمر الله تعالى إبطالاً لعادة التبني، وإرجاعًا للحق إلى نصابه.

*****

(١) الأحزاب: آية ٥.

جيل عصر السيرة

فضل الصحابة ووجوب محبتهم وموالاتهم

ما هي خصائص الجيل الذي رباه محمد ﷺ فأقام دولة الإسلام، وخاض غمرات الجهاد ونشر دعوة الإسلام في الآفاق، وصار من أعظم الأدلة على نجاح التربية المحمدية، فإنه لم يسبق لنبي أن ربَّى جيلاً بكامله، كما فعل رسول الله ﷺ. فلنتعرف على هذا الجيل من خلال الكتاب والسنة والواقع التاريخي.

صفة الصحابة في القرآن والسنة:

قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾[1].

هكذا يصف القرآن محمدًا وصحبه، ذلك الجيل المثالي الذي حقق مستوىً سامقًا من الارتقاء الروحي والخلقي، فصقلته العبادة وكساه الركوع والسجود نورًا وبهاءً، وحددت العقيدة مفاهيمه وقيمه وولاءه وبراءه ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ يوالون بعضهم، ويحادون من سواهم ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. ذلك الجيل الذي خلدته كتب السماء،

---

(١) الفتح: ٢٩.

فوصفته التوراة والإنجيل والقرآن بهذا الوصف الرائع، ممثلة امتداد قيمه، وانتشار عقيدته، وكثرة أنصاره، وقوة وجوده، واستمساك أمره - بالزرع الذي يتفرع وينتشر ويزداد ويشتد ساقه، يعجب أهله الذين غرسوه ويغيظ الأعداء، وقد ذكر عند الإمام مالك بن أنس رجل ينتقص الصحابة رضوان الله عليهم، فقرأ الإمام مالك هذه الآيات حتى بلغ ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ فقال مالك: من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية.

ذلك الجيل الذي بلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة، وحفظ القرآن والسنة، ولو فرط فيهما ما وصلا إلينا سالمين محفوظين بحفظ الله تعالى، لذلك ذهب كثير من العلماء إلى أن الطعن في جيل الصحابة إنما هو طعن في مصادر تلقينا للقرآن والسنة. ومن ثم فهو طعن بالدين.

ذلك الجيل الموصوف بالخيرية والأفضلية المطلقة على سائر الأجيال، كما أخبر المصطفى ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. إنَّ بعدكم قومًا يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن»[(١)].

وهذه الخيرية تجعل من جيل الصحابة مُثُلاً عليا للمسلمين في كل زمان ومكان، فهم يتطلعون إليهم ويعتزون بهم، ويقتدون بأعمالهم، ويسترشدون بسيرهم، تلك السير المتنوعة في الحرب والسلم والعبادة والمجاهدة والمعاملة مما يكفل للمسلمين في مختلف العصور نماذج متنوعة صالحة للاقتداء.

---

(١) رواه البخاري (الصحيح ٣/ ١٥١)، رقم ٢٦٥١ ومسلم رقم ٢٥٣٥.

ففي الحرب تجد الصحابة مؤمنين محتسبين مجاهدين ثابتين، وصفهم القرآن في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[1].

وهم في السلم هداة معلمون، ومصلحون عاملون، وصفهم رسول الله ﷺ بأنهم أَمَنَةٌ لأمته، ففي صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ: «النجوم أمنة السماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»[2].

ومعنى أمنة أمتي: أي حفظتهم، كما أن الملائكة حفظة السماء، وهذا الحفظ للأمة بحفظهم لدينها، وقيامهم بطاعة الله والتزام أوامره، ودعائهم للمسلمين، وذودهم عن الدين بالجهاد بالنفس والمال واللسان، لذلك أمر الرسول ﷺ المسلمين في كل زمان ومكان بتوقير الصحابة واحترامهم ومحبتهم، ونهى عن أذاهم وتناولهم بالكلام الجارح والجرأة عليهم، ففي الصحيحين قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدًا أنفق مثل أُحُدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه[3]»، أي ما بلغ القدر اليسير من فضلهم.

وقد بشر رسول الله ﷺ العديد من الصحابة بالجنة، فقال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة

---

(١) آل عمران: ١٧٢، ١٧٣.

(٢) رواه مسلم في صحيحه حديث رقم ٢٥٣١.

(٣) رواه البخاري ومسلم (صحيح البخاري ٧/ ٢٧ و ٢٨ وصحيح مسلم حديث رقم ٥٤١).

في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة»[١]. فهؤلاء هم المبشرون بالجنة. ولم يحظ بذلك جيل سوى جيل الصحابة رضوان الله عليهم ولم يكن الصحابة - رضوان الله عليهم - متساوين في الفضل والدرجة، بل كانوا يتفاضلون في السابقة والجهاد وكثرة البذل في سبيل الإسلام، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾[٢] وقد فصلت الأحاديث الشريفة مقامات الصحابة وتفاضلهم ودرجاتهم.

روى الإمام مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة، فقال النبي ﷺ: «أهدأ، فما عليك إلا نبي أو صدّيق أو شهيد»[٣] وهذا من علامات نبوته ﷺ، فقد استشهد الخمسة الآخرون، رضوان الله عليهم أجمعين.

ودل الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام على خصائص بعض الصحابة العلمية أو الخلقية أو الجهادية، إرشادًا للأمة للأخذ عنهم والاقتداء بهم، فقال: «خذوا القرآن من أربعة، من عبدالله وسالم ومعاذ وأبي بن كعب»[٤]، وهم عبدالله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ ابن جبل، وأبي بن كعب.

---

(١) الترمذي: سنن ٥/ ٦٤٧ - ٦٤٨ وانظر: صحيح البخاري ٤/ ١٩٦، ٨/ ٩٧، ١٣٦ وصحيح مسلم ٤/ ١٨٦٨.

(٢) الحديد: ١٠.

(٣) صحيح مسلم حديث رقم ٢٤١٧ وقارن برواية البخاري في الصحيح ٤/ ٢٠٤.

(٤) رواه البخاري ومسلم (صحيح البخاري ٦/ ١٠٢ وصحيح مسلم ٤/ ١٩١٣ حديث رقم ٢٤٦٤).

وأشاد مرة بأبي بكر الصديق رضي الله عنه وسماحته بماله ونفسه في سبيل الإسلام، روى البخاري في صحيحه عن عبدالله بن عباس قال: «خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه عاصبًا رأسه بخرقة، فقعد على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنه ليس من الناس أحد أمنَّ عليَّ في نفسه وماله من أبي بكر ابن أبي قحافة ولو كنت متخذًا من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خلة الإسلام أفضل، سُدُّوا عني كل خَوْخَة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر»(١).

وأشاد ﷺ بعمر بن الخطاب فقال: «إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه»(٢).

وقال: «لقد كان فيمن كان قبلكم من الأمم ناس مُحَدَّثون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر»(٣).

وهكذا بين خصائص عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث صار رمزًا للعدل في الإسلام، وبقيت سيرته الطافحة بالعدل الشامخ، والزهد في الدنيا، والجهر بالحق، والقيام بمصالح الأمة من تنظيم الدواوين، وضع الخراج، وتجهيز الجيوش، وتحرير المجتمعات من ظلمات الجاهلية، والأخذ بيد الشعوب نحو نور الإسلام، وكرامة الإيمان، وعدل الرحمن، فكان ملهمًا محدثًا ذا فراسة. كما وصفه رسول الله ﷺ بالعمق في الدين والعلم، والعبقرية في العقل و الاجتهاد والعمل.

---

(١) صحيح البخاري: ١/ ١٢٠.

(٢) رواه الترمذي وقال: حسن غريب (سنن ٥/ ٦١٧ حديث رقم ٣٦٨٢).

(٣) رواه البخاري ومسلم (صحيح البخاري ٤/ ٢٠٠ وصحيح مسلم ٤/ ١٨٦٤ حديث رقم ٢٣٩٨).

وأشاد ﷺ بعثمان ذي النورين، الذي ما جمع أحد بين بنتي نبي سواه، حيث زوجه رسول الله ﷺ بنته رقية، فلما ماتت زوجه بنته الثانية أم كلثوم، لذلك لقب بذي النورين، وقد بشره رسول الله ﷺ بالجنة والشهادة. فافتدى الأمة وحقن دماءها بدمه، ورفض الانصياع للأعراب بالتنازل عن الخلافة بمشورة عبدالله بن عمر، لئلا تصبح سنة كلما كره قوم إمامهم خلعوه أو قتلوه[١].

مما يدل على بصيرة سياسية، ووعي بالسنن الاجتماعية، وقدرة على اتخاذ الموقف في أحرج الظروف ومع أشد التضحيات.

وأشاد بعلي بن أبي طالب، وزوجه بنته فاطمة الزهراء البتول، وشهد له بالجنة والشهادة، وروى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ خلَّف علي بن أبي طالب في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي؟[٢].

وروى الإمام مسلم أنه ﷺ قال يوم خيبر: لأعطين الراية غدًا رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله.. فدعا عليا فأعطاه الراية[٣].

فهذه نبذة عن مكانة الصحابة الكرام مما يوجب موالاتهم ومحبتهم والاستغفار لهم وحفظ حقهم ومكانتهم.

*****

(١) خليفة بن خياط: التاريخ ١٧٠ بإسناد حسن.
(٢) صحيح البخاري ٤/ ٢٠٨ وصحيح مسلم ٤/ ١٨٧٠ حديث رقم ٢٤٠٤.
(٣) صحيح البخاري ٤/ ٢٠٧ وصحيح مسلم ٤/ ١٨٧١.

مبادرة الصحابة إلى طاعة الله

كانت أجيال المسلمين في القرون الأولى تقرأ القرآن، وكأنه ينزل على كل واحد منهم - رجلاً كان أو امرأةً - غضًّا طريًّا، وكانت لغة التخاطب بينهم هي الفصحى التي نزل بها القرآن، وقد أعانهم ذلك على فهم الخطاب الإلهي بسهولة ويسر، كما ولَّد الأثر القوي في نفوسهم، وسرعة الاستجابة التامة لتعاليمه وأحكامه.

ولا شك أن جيل الصحابة (رضوان الله عليهم) كان أسرع استجابة وأبلغ تأثرًا، وأقدر على التخلص من عادات الجاهلية وتقاليدها وأعرافها، حتى لو كانت العادة الجاهلية قد استقرت منذ قرون، وصارت عرفًا مشروعًا وتقليدًا مقبولًا.

قالت عائشة رضي الله عنها: «يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾[1] شققن مروطهن فاختمرن به)[2].

ومن أبلغ المواقف التي بادر فيها الصحابة إلى إعلان الطاعة مع إحساسهم بالمشقة ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: «لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3] قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب، فقالوا: يا رسول الله كُلّفنا من الأعمال ما نطيق؛ الصلاة والجهاد والصدقة. وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها؟

---

(١) النور: ٣١.

(٢) صحيح البخاري ٦/ ١٣ مختصرا، وقارن بسنن أبي داود ٤/ ٣٥٦ - ٣٥٧.

(٣) البقرة: ٢٨٤.

قال رسول الله ﷺ: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير. قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير. فأنزل الله ﷻ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ (قال: نعم) ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ (قال: نعم) ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (قال: نعم)[1]

فهذا الحديث يفيد سرعة مبادرة الصحابة إلى الطاعة حتى عندما يجدون في التكليف مشقة. وقد عرف الله تعالى منهم حسن الطاعة فأثابهم بالتخفيف عنهم والتوسعة عليهم، كما قال ابن عباس رضي الله عنه عندما قرأ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ قال: هم المؤمنون وسَّع الله عليهم أمر دينهم، فقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[2].

وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[3].

وقال: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[4][5].

وقد جاء في الحديث النبوي «**أن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**»[6].

---

(١) صحيح مسلم رقم الحديث ١٢٥. وقارن برواية سنن الترمذي رقم الحديث ٢٩٩٢.

(٢) الحج:٧٨.

(٣) البقرة:١٨٥.

(٤) التغابن:١٠٦.

(٥) تفسير الطبري: ٣/ ١٥٤.

(٦) سنن ابن ماجة رقم الحديث ٢٠٤٥.

والحديث يوافق الآية ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، حيث استجاب الله تعالى لهم، فقال: نعم كما في صحيح مسلم.

قال ابن كثير في معنى الدعاء في الآية: أي إن تركنا فرضًا على جهة النسيان، أو فعلنا حرامًا كذلك، أو أخطأنا الصواب في العمل جهلاً منا بوجهه الشرعي»[١].

وقد حددت الآية والحديث قاعدة عظيمة في تحديد المسئولية، فالإنسان لا يسأل عن الخواطر التي تقع في نفسه ما لم يتكلم أو يعمل بها، كما في صحيح مسلم قال ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به»[٢].

إذ لا يسيطر الإنسان على الخطرات والصور التي ترد إلى ذهنه، ومن هنا أحسَّ الصحابة رضوان الله عليهم بالحرج عندما نزلت الآية ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾، لكنهم بادروا بالطاعة فرفع الله عنهم الحرج، كذلك فالإنسان لا يسأل إلا عن الأعمال التي صدرت منه في حال العقل والعمد والاختيار، ومن هنا لم يعتبر الكفر مع الإكراه، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾، ولم يعتبر الطلاق للمجنون والمكره، ولم يعتبر ما أكله الصائم ناسيًا قادحًا في صومه.

فهذا التيسير في الأحكام إنما كان ببركة مبادرة الصحابة إلى الطاعة مع الإحساس بالمشقة.

وقد حث رسول الله ﷺ على المبادرة إلى الطاعة، خوفًا من تغير الأحوال وإقبال الفتن والأهوال، مما يصرف الإنسان أو يضعفه عن المبادرة

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٣٤٢ - ٣٤٣.

(٢) صحيح مسلم، رقم الحديث ١٢٧.

إلى الإحسان والطاعات، فقال: «بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجرًا؟ قال: «أن تصدَّق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر، وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم. قلت: لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان»(٢).

فالحديث يبين أهمية المبادرة إلى بذل الصدقة والمعروف، فالإنسان حين يبذل المال وهو في تمام صحته وعنفوان حياته، وهو إليه محتاج وعليه حريص، ينتابه الخوف من الفقر، وتتملكه الرغبة في جمع المال حبًّا له أو حيطة لمستقبله ومستقبل عياله، هذا الإنسان حين يتصدق ويبذل فإنه يكون قد نجح في الامتحان، فغلب توكله الصادق على كل الوساوس والخطرات، قال تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾(٣).

فالشيطان إذا يورد على ابن آدم خواطر الشر والشك في وعد الله تعالى من الثواب على الأعمال الصالحة والصدقات وبذل المعروف، وَوَعْدِ رسول الله ﷺ بقوله: (ما نقصت صدقةٌ من مال)(٤).

---

(١) صحيح مسلم رقم الحديث ١١٨.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ٢٢٦ وصحيح مسلم رقم ١٠٣٢.

(٣) البقرة:٢٦٨.

(٤) صحيح مسلم حديث رقم ٢٥٨٨.

فيورد عليه الشيطان الوساوس يقول: أمسك عليك مالك فإنك تحتاجه، وبادر إلى اللذات والنعيم بالدنيا قبل فواتها، يقول رسول الله ﷺ مبينًا الصراع الذي ينتاب الإنسان بين وساوس الشر يلقيها الشيطان وخواطر الخير يلقيها الملاك: للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر، وتكذيب بالحق. وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم قرأ ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب[1].

ولعل أقوى ما يدفع لمة الشيطان وإلقاءه الوساوس حال الاقتراب من الإنسان أن يبادر الإنسان إلى فعل الطاعة. وبذلك يقطع السبيل على الوساوس والخطرات التي تستهدف إضعاف إيمانه والنيل من توكله على الله تعالى وتصديقه بوحيه وإخباره.

وقد روى الصحابي جرير البجلي رضي الله عنه: أن قومًا من المسلمين وفدوا على رسول الله ﷺ في أول النهار، فإذا هم عراة حفاة يلبسون أكياس الصوف وعليهم السيوف، فتغير وجه الرسول ﷺ إشفاقًا عليهم، وجمع الناس، وحثهم على الصدقة، وقرأ عليهم الآيات في ذلك ومنها ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾[2]. فتتابع الناس حتى جمعوا كومين من طعام وثياب، فتهلل وجه الرسول ﷺ فرحا بمبادرة الصحابة إلى معونة إخوانهم وطاعة ربهم[3].

*****

(١) سنن الترمذي حديث رقم ٢٩٨٨ (ط. شاكر) والآية من سورة البقرة: ٢٦٨.

(٢) الحشر: ١٨.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ٧٠٤ - ٧٠٥ حديث رقم ١٠١٧.

تجرد الصحابة للدعوة إلى الإسلام

قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

هذه الآيات الكريمة نزلت في وصف المهاجرين والأنصار من صحابة رسول الله ﷺ، وهي توضح تجردهم لدعوة الإسلام، فلم يقف حب الديار والتعلق بالمال عائقًا أمام خدمتها، فلما أمروا بالهجرة سارعوا إليها تاركين ما ألفته النفس من الديار، وما حازوه من المال تجردًا للدعوة، وابتغاء مرضاة الله التي تعلو على كل حظوظ النفس، وقد وصفتهم الآيات بالإيمان الصادق وتسديد النية في ابتغاء فضل الله ورضوانه، فليس لهم مطمع في المال والجاه والشهرة، وعندما يحين وقت البذل والعطاء نجد أيديهم سمحة بالمال ممدودة بالسخاء، لا تقف عند حدود بذل المال الزائد والفضل عن الحاجة بل تحقق ما هو أرفع... تحقق الإيثار على النفس المحتاجة.. فتحرم من حاجتها لتلبي حاجة العقيدة أولاً.. لقد انخلع جيل الصحابة عن الشح، ليحققوا الفلاح الذي وصفتهم به الآيات، بعد أن استحقوا صفة النصرة لله وللرسول، وبذلك صاروا رموزًا شامخة وأعلامًا هادية وقدوات سامقة، تتطلع أجيال المسلمين إليهم بكل فخر واعتزاز، وبكل تمجيد وتقدير، وما أحسن وصف ابن مسعود لأبناء جيله من الصحابة، حين قال: «من كان منكم متأسيًا فليتأس بأصحاب محمد ﷺ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها

(١) الحشر ٨ - ٩.

علمًا، وأقلها تكلفًا، وأقومها هديًا، وأحسنها حالًا، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهَدْي المستقيم».

نهض الصحابة رضوان الله عليهم بالدعوة إلى دين الله، وعبروا عن مضامينه ومقاصده أجمل تعبير، مما يدل على وعي عميق بواقع عصرهم، ومقاصد دينهم.. قال ربعي بن عامر لقائد الفرس رستم: «الله ابتعثنا لنخرج من نشاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام»(١).

وكان الصحابة يحملون رسالة إلى أهل الأرض، وكان أشد فرحهم عند دخول الناس في الإسلام، وكانوا بذلك واعين لأهدافهم، حريصين على نشر عقيدتهم، مستوعبين لقوله عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه يوم خيبر: «لئن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَم»(٢).

وكانت قياداتهم بعد رسول الله ﷺ تؤكد هذا المعنى.. قال الصحابي الجليل أنس بن مالك: «بعثني أبو موسى الأشعري بفتح تستر إلى عمر، فسألني عمر وكان ستة نفر من بكر بن وائل قد ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بالمشركين - فقال: ما فعل النفر من بكر بن وائل؟ قلت: يا أمير المؤمنين، قوم قد ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بالمشركين ما سبيلهم إلا القتل. فقال عمر: لأن أكون أخذتهم سلمًا أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس من صفراء وبيضاء - أي من الذهب والفضة -.

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٥٢٨.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ٢٧٩.

قلت: يا أمير المؤمنين، وما كنت صانعًا بهم لو أخذتهم؟

قال لي: كنت عارضًا عليهم الباب الذي خرجوا منه أن يدخلوا فيه، فإن فعلوا ذلك قبلت منهم، وإلا استودعتهم السجن»[١].

ولما عرض المقوقس على عمرو بن العاص الجزية عند فتح الإسكندرية على أن يرد إليهم الأسرى، كتب عمر بن الخطاب إلى ابن العاص بقبول الجزية، وتخيير الأسرى بين الإسلام والنصرانية.. وقد وصف موقف التخيير شاهد عيان هو زياد بن جزء الزبيدي، قال: «فجمعنا ما في أيدينا من السبايا، واجتمعت النصارى، فجعلنا نأتي بالرجل ممن في أيدينا، ثم نخيره بين الإسلام والنصرانية، فإذا اختار الإسلام كبرنا تكبيرة هي أشد من تكبيرنا حين تفتح القرية. قال: ثم نحوزه إلينا. وإذا اختار النصرانية نخرت النصارى ثم حازوه إليهم، ووضعنا عليه الجزية، وجزعنا من ذلك جزعًا شديدًا، حتى كأنه رجل خرج منا إليهم.

قال: فكان ذلك الدأب حتى فرغنا منهم.

وقد أتي فيمن أتينا به - بأبي مريم عبدالله بن عبدالرحمن، فوقفناه فعرضنا عليه الإسلام والنصرانية - وأبوه وأمه وأخوته في النصارى - فاختار الإسلام فحزناه إلينا، ووثب عليه أبوه وأمه وأخوته، يجاذبوننا، حتى شققوا عليه ثيابه، ثم هو اليوم عريفنا[٢]».

وهذه الحادثة تكشف عن مشاعر الصحابة، وتعلقهم بدينهم، ورغبتهم الصادقة في إسلام الناس، وإن سقطت الجزية عنهم، ثم هي تكشف عن جو الحرية الدينية، وعدم إجبار أحد على اعتناق الإسلام حتى مع القدرة عليهم.

---

(١) البيهقي: السنن ٨/ ٢٠٧.

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٢٢٧.

ولـم يكن طريق الإسـلام في جيـل الصحابة معبـدًا مفروشًـا بالزهور، وخاصة في أولى مراحـل الدعوة، بل كان محفوفًا بالأخطار، وكان الدخول فيه امتحانًا شـاقًّا لا تجتازه بنجاح إلا الهمم الشـامخة والنفوس العالية، التي حـازت الإيمان والتقـوى والإخلاص والمجاهـدة.. مر رجـل بالمقداد بن الأسـود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسـول الله ﷺ، واللهِ لوددنا أنا رأينا ما رأيت، وشهدنا ما شهدت!! فقال المقداد: ما يحمل أحدكم علـى أن يتمنـى محضـرًا غيَّبه اللـه ﷻ عنه. لا يـدري لو شـهده كيف يكون فيـه! والله لقد حضر رسـول اللـه ﷺ أقوام - كبَّهم اللـه ﷻ على مناخرهم فـي جهنـم - لـم يجيبـوه ولـم يصدقـوه! أولا تحمـدون اللـه إذ أخرجكـم اللـه ﷻ لا تعرفـون إلا ربكـم مصدِّقيـن بما جاء به نبيكـم عليه السلام، وقد كفيتم البـلاء بغيركـم؟! والله لقد بعث النبي ﷺ على أشـد حال بعـث عليه نبي من الأنبيـاء في فترة وجاهلية، ما يـرون دينًا أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفرقان فرَّق به بين الحق والباطل، وفرَّق بين الوالد وولده، حتى إن الرجل ليرى والده أو ولده أو خاله كافرًا. وقد فتح الله تعالى قفل قلبه للإيمان، ليعلم أنه قد هلك من دخل النار، فلا تقر عينه وهو يعلم أن حميمه - أي أقرباءه - في النار، وإنها للتي قال الله ﷻ: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾.

وكان معظـم الصحابـة من الفقراء، وكانـت الدولة الناشـئة في المدينة المنورة لا تملك الأموال، فلا مطمع لمن يدخل في دين الله في نيل المال أو الجـاه أو أي أعراض الدنيا، ومن طريق الروايات التي تصور فقرهم وحالهم ما أخرجه البخاري في صحيحه عن الصحابي الجليل سـهل بن سـعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال: كانت منا امرأة تجعل في مزرعة لها سِلْقًا، فكانت إذا كان يوم الجمعة

تنزع أصول السلق فتجعله في قدر، ثم تجعل قبضة من شعير تطحنه، فتكون أصول السِّلق عَرْقَه - أي عظمه ولحمه -.

قال سهل: كنا ننصرف إليها من صلاة الجمعة فنسلم عليها، فتقرب ذلك الطعام إلينا، فكنا نتمنَّى يوم الجمعة لطعامها ذلك - وفي رواية: ليس فيها شحم ولا ودك، وكنا نفرح بيوم الجمعة»[1].

وقد تحمَّل الصحابة الكرام من الجوع والعطش والحر والبرد و الأذى، فصبروا على الامتحان، وآثروا العقيدة على نعيم الدنيا، فاستحقوا المكانة التي وصلوا إليها، حيث خلدهم كتاب الله تعالى بما وصفهم به من عاطر الثناء، وحفظت لهم الأمة الإسلامية قدرهم على مدى الزمان.

لقد كان الصحابة يلتزمون بالبيعة لرسول الله ﷺ، ثم للخلفاء الراشدين من بعده، وكان للبيعة قيمة عالية، فهي التزام حر وتعاقد بين الطرفين، وقد دللوا دائمًا على صدق التزامهم، فلبوا داعي الجهاد، وخاضوا غمار المعارك في أماكن نائية عن ديارهم، ودفن كثير منهم في أطراف الأرض ما بين كابل والقسطنطينية والقيروان، وما عرفوا القعود عن الجهاد والحفاظ على الكرامة والذود عن العقيدة.

وبيعة الناس للخليفة تدل على أن الأمة هي مصدر السلطة، وإن السلطة ليست ثيوقراطية، وليست ممنوحة من الله لأحد من البشر، بل هي تعاقد بين المسلمين وحاكمهم على أن يطيعوه في العسر واليسر والمنشط والمكره، مقابل حفاظه على دين الله، وإنفاذه حكم الله، وحفظه للأمن، وتحقيقه لمصالح الرعية، فلا كهنوت في الإسلام ولا تفويض إليها، بل بيعة حرة يدرك

(١) المنذري: الترغيب والترهيب ٥/ ١٧٣.

الطرفان، الأمة والحاكم عمق معناها ومدى التزاماتها؛ ذلك العمق والالتزام النابعان من معنى الآية الكريمة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾[1].

وما أدق تعبير عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قال له عمير بن عطية الليثي رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين ارفع يدك - رفعها الله - أبايعك على سنة الله ورسوله. فرفع عمر يده وضحك، وقال: هي لنا عليكم ولكم علينا. فالتزام البيعة إذا يشمل الراعي والرعية.

لقد خلد القرآن الكريم مواقف المسلمين الأوائل من المهاجرين والأنصار في آيات كثيرة. قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[2].

والسابقون الأولون هم الذين صلّوا إلى بيت المقدس أولًا، ثم صلوا إلى الكعبة بعد تحويل القبلة إليها، وهذا الرأي قال به سعيد بن المسيب، ومحمد بن سيرين، وهما من كبار التابعين. وتحويل القبلة إلى الكعبة كان في السنة الثانية من الهجرة بعد ستة عشر شهرًا من قدومه ﷺ إلى المدينة، فمن كان على الإسلام قبل هذا التاريخ، فهو من السابقين الأولين.

إن أولي السابقة تحملوا المسئولية في ظروف الشدة والخطر، فالمهاجرون ضحوا بالأهل والمال والديار، وهاجروا لنصرة عقيدتهم، والأنصار عرَّضوا مدينتهم للخطر، وآثروا العقيدة بالنفس والمال والأمن.

---

(١) الفتح: ١٠.
(٢) التوبة: ١٠٠.

وقد تفاضل الصحابة رضي الله عنهم حسب قدمهم في الإسلام وخدمتهم للعقيدة، فكان البدريون طبقة أولى فهم من السابقين الأولين، وكان من شهد أُحُدًا طبقة ثانية، وكان من شهد الخندق طبقة ثالثة، ومن شهد بيعة الحديبية طبقة رابعة، ومن أسلم في ما قبل الفتح طبقة، ومن أسلم بعد فتح مكة طبقة.

وروى البخاري ومسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استأذن الرسول ﷺ في أن يقتل حاطب بن أبي بلتعة، وهو صحابي بدري، حاول أن يرسل خبر إعداد المسلمين لفتح مكة إلى قريش، لكن الرسالة سقطت بيد المسلمين، واعترف حاطب بأنه أراد أن يحمي أهله بمكة من أذى قريش، وهنا نجد أن سابقة حاطب وشهوده بدرًا تشفع له، فلا يأذن الرسول ﷺ لعمر بقتله، بل يقول: إنه شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[(١)].

وقد اشتكى أحد عبيد حاطب بن أبي بلتعة عليه عند رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله ليدخلنَّ حاطب النار، فقال رسول الله ﷺ: كذبت لا يدخلها، إنه شهد بدرًا والحديبية»[(٢)].

وقد قال رسول الله ﷺ: «لن يدخل النار أحد شهد بدرًا والحديبية»[(٣)].

وقد اختص عمر بن الخطاب أهل السابقة والخدمة للإسلام بعطاء أوفر من الدولة، وهكذا قرن بين التكريم المعنوي والمادي لتمكين هؤلاء الرجال من العيش الكريم، ولتقوية نفوذهم في المجتمع، وتدعيم مركزهم في القيادة والتوجيه، وهي التفاتة تدل على عبقرية أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه.

---

(١) صحيح البخاري (فتح الباري ٢/ ٥١٩) وصحيح مسلم ٤/ ١٩٤١.

(٢) صحيح مسلم ٤/ ١٩٤٢. وكذبت تستعمل بمعنى أخطأت.

(٣) صحيح مسلم ٤/ ١٩٤٢.

روى البخاري عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: «خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى السوق، فلحقت عمر امرأة شابة، فقالت: يا أمير المؤمنين، هلك زوجي وترك صبية صغارًا، والله ما ينضجون كراعًا، ولا لهم زرع ولا ضرع، وخشيت أن تأكلهم الضبع - أي السَّنَةُ المجدبة - وأنا بنت خُفاف بن إيماء الغفاري، وقد شهد أبي الحديبية مع النبي ﷺ.

فوقف معها عمر ولم يمض، ثم قال: مرحبًا بنسب قريب، ثم انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطًا في الدار، فحمل عليه غرارتين ملأهما طعامًا، وحمل بينهما نفقة وثيابًا، ثم ناولها بخطامه، ثم قال: اقتاديه، فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير.

فقال رجل: يا أمير المؤمنين أكثرت لها.

فقال عمر: ثكلتك أمك، والله إني لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصنًا زمنًا فافتتحناه، ثم أصبحنا نستفيء سهماننا فيه». وقد تكرر ذلك من عمر رضي الله عنه، فقد قسَّم مروطًا (أكسية من صوف أو خز) بين نساء أهل المدينة، فبقي منها مرط جيد، فقال بعض من حضر: يا أمير المؤمنين أعط هذا ابنة رسول الله ﷺ التي عندك - يريدون أم كلثوم بنت علي رضي الله عنه، وكانت زوجةً لعمر بن الخطاب.

فقال عمر: أم سليط أحق به، فإنها ممن بايع رسول الله ﷺ، وكانت تحمل للناس القِرَبَ يوم أُحدٍ[1].

وهكذا فإن تكريم الأبطال الذين يقدمون خدمات عظيمة للمجتمع انسحب على أبنائهم، وبذلك يعرف الناس جميعًا أن تضحياتهم لا تضيع في الدنيا ولا في الآخرة ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾.

(١) ابن الجوزي: مناقب عمر ٥٧.

ولا شك أن الإسلام جعل أتباعه يتطلعون إلى ما عند الله من الأجر العظيم، الذي لا يعدله شيء من تكريم الدنيا مهما عظم، فقد صح أن أعرابيًا شهد فتح خيبر أراد النبي ﷺ في أثناء المعركة أن يقسم له قِسْمًا وكان غائبًا، فلما حضر أعطوه ما قسم له، فجاء به إلى النبي ﷺ فقال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أُرمى ها هنا - وأشار إلى حلقه - بسهم فأدخل الجنة.

قال: إن تصدق الله يَصْدُقك.

فلبثوا قليلاً. ثم نهضوا في قتال العدو، فأتى به يحمل قد أصابه سهم حيث أشار، فكفنه النبي ﷺ بجبته، وصلَّى عليه ودعا له، فكان مما قال: «اللهم هذا عبدك خرج مهاجرًا في سبيلك فقتل شهيدًا، وأنا عليه شهيد»[(١)].

وقد أثبت الأبطال المسلمون ترفعًا على الدنيا وما فيها، وشمخت نفوسهم إلى الرضوان الأكبر، فعن جابر بن عبدالله - رضي الله عنه - قال: «والله الذي لا إله إلا هو ما اطلعنا على أحد من أهل القادسية، أنه يريد الدنيا مع الآخرة»[(٢)].

ولما قدم بسيف كسرى على عمر ومنطقته وزبرجه، قال عمر: إن أقوامًا أدوا هذا لذوو أمانة.

فقال علي رضي الله عنه: إنك عففتَ فعفَّت الرعية[(٣)].

ومن أجل مظاهر تكريم الصحابة في الإسلام أنهم اعتبروا موضع قدوة وتأس من بين المسلمين، فكتبت سيرهم وعرفت أخبارهم وبلغت كتب التراجم التي خلدت ذكراهم عشرات الألوف من الكتب، فلم تعن أمة

---

(١) مصنف عبد الرزاق ٥/ ٢٧٦.

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ١٩.

(٣) المصدر السابق ٤/ ٢٠.

بتسجيل تراجم رجالاتها مثل عناية الأمة الإسلامية، وهذا هو السبب الذي جعل كتب التراجم أوسع موضوعات المكتبة العربية الإسلامية.

وكان العلماء قديمًا وحديثًا يوجهون النشأ إلى النظر في سيرة الرسول ﷺ، وسير أصحابه الغر الميامين، لينشأوا على حب البطولة والأبطال، وليتأسوا بخلق أصحاب المروءة والشجاعة والكرم والصدق والعفاف والمعروف. وقد نبه القرآن الكريم إلى ضرورة تحقيق هذا المنهج في الاقتداء بالصالحين، فقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[1]. والاقتداء بالرسول ﷺ شامل لمنهجه في مطالب الدين والدنيا، لأنه لا ينطق عن الهوى بل هو وحي يوحى.

أما الاقتداء بالعظماء والصالحين من البشر فيكون في الجانب الذي تميزوا به، مما يتطابق مع أحكام الشرع ومقاصده، فيستفاد من تطبيقهم ذلك في حياتهم لتوضيح المعنى وإبراز موضع القدوة، مع ضرورة اعتبار بعض القواعد، ومنها أن الأفذاذ من الأبطال والصالحين لهم أخطاؤهم أيضا، وكل يؤخذ منه ويرد عليه إلا المعصوم ﷺ، ومن هنا تظهر أهمية قاعدة «اعرف الرجال بالحق ولا تعرف الحق بالرجال»، فمن المهم وضوح الحق وتميزه ومعرفة الباطل وتميزه، وقد قال الإمام أحمد: «من ضيق علم الرجل أن يقلد في دينه الرجال».

والصحابة أنفسهم يتفاضلون في السابقة والجهاد والعلم بالقرآن والسنة والفقه، فمنهم البدريون والأحديون وأصحاب الخندق ومسلمة ما قبل الفتح ومسلمة ما بعد الفتح، ولا شك أن أصحاب السابقة هؤلاء يمتازون بأنهم رموز الدعوة الإسلامية ومثلها العليا، وكانت أعمالهم

---

(١) الأنعام: ٩٠.

سوابق تُحتذَى، كما أن النبي ﷺ نص على أن أعمال الخلفاء الراشدين سنة تحتذى، وسوابق يقاس عليها، وذلك في الحديث: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنواجذ»(١).

ونجد الآية الكريمة هنا توجه المؤمنين إلى اتباع أهل السابقة ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾.

ونجد الخليفة عمر بن الخطاب يختص أهل السابقة من البدريين بأعلى العطاء، وكان يدرك أن ترسيخ جذور هذه الفئة وتقويتها بالدعم المادي والأدبي يمكنها من القيام بدورها خير قيام، ويجعلها تتخلص من الضغوط الاقتصادية والاجتماعية، وبذلك تعين على ترسيخ القيم الإسلامية والحفاظ عليها، وتمارس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دون أن تعيقها الحاجة، أو تستذلها المادة، أو تخيفها من قولة الحق.

إن لكل مجتمع رموزًا وقادةً يمثلون قيمه، ويوجهون الأمة نحوها، ورموز المجتمع الإسلامي الأول هم صحابة رسول الله ﷺ، وأفضلهم أهل السابقة، فقد محصَّتهم الفتن، وامتُحِنوا بالنفس والنفيس، فاسترخصوا كل شيء من أجل رفع راية العقيدة الإسلامية.

هذا صهيب رضي الله عنه أقبل مهاجرًا نحو النبي ﷺ، فتبعه نفر من قريش مشركون، فنزل فانتثل كنانته فقال: قد علمتم يا معشر قريش أني أرماكم رجلاً بسهم، وايم الله لا تصلون إليَّ حتى أرميكم بكل سهم في كنانتي، ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، ثم شأنكم بعد ذلك، وإن شئتم دللتكم على مالي بمكة وتخلوا سبيلي، قالوا: نعم. فتعاهدوا على ذلك

(١) سنن أبي داود ٥/ ١٤ حديث رقم ٤٦٠٧ وسنن الترمذي حديث رقم ٢٦٧٨ وقال: حسن صحيح. وسنن ابن ماجة حديث رقم ٤٢.

فدلَّهم، فأنزل الله على رسوله القرآن ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾[١]. حتى فرغ من الآية. فلما رأى النبي ﷺ صهيباً قال: ربح البيع يا أبا يحيى! ربح البيع يا أبا يحيى! وتلا عليه الآية[٢].

وأمثال صهيب كثير عافوا الأرض والأهل والمال، وهاجروا بأنفسهم إلى الله ورسوله، فكانوا مادة الإسلام ورجاله الأولين. وكانت الهجرة نصرةً لدين الله ودفعًا لفتنة الإقامة بين ظهراني المشركين، كذلك كانت بيعة الأنصار في العقبة الثانية على النصرة، فقد مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم عكاظ ومجنة وفي المواسم، يقول: «من يؤويني، من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة؟» فلا يجيبه أحد يؤويه ولا ينصره، حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر، فيأتيه قومه وذوو رحمه، فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك. حتى بعث الله إليه الأنصار فآووه وصدقوه ونصروه[٣].

وأنفق الأنصار النفقة العظيمة، وواسوا المهاجرين بأموالهم، وآثروهم على أنفسهم حتى قال المهاجرون: يا رسول الله ما رأينا مثل القوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل، ولا أحسن بذلاً من كثير، لقد كفونا المؤونة، وأشركونا في المهنأ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله. فقال ﷺ: لا ما أثنيتم عليهم، ودعوتم الله لهم»[٤].

---

(١) البقرة: ٢٠٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات ٣/ ١٦٢ - ١٦٣. والحاكم: المستدرك ٣/ ٣٩٨، وصححه على شرط مسلم.

(٣) الحاكم: المستدرك ٢/ ٦٢٥.

(٤) رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح (مسند أحمد ٣/ ٢٠٠ - ٢٠٤، وسنن الترمذي ٤/ ٦٥٣ حديث رقم ٢٤٨٧ وقال: صحيح حسن غريب.

ولقد استحق الأنصار وصف رجال العقيدة المخلصين، كما قال لهم ﷺ: «إنكم ما علمت تكثرون عند الفزع، وتقلون عند الطمع». وتخليدًا لمروءتهم وعفتهم وشهامتهم، قال ﷺ: «ما يضر امرأة نزلت بين بيتين من الأنصار، أو نزلت بين أبويها»(١).

وهكذا كان جيل الصحابة رضوان الله عليهم يقدم التضحيات الجسيمة في سبيل نصرة دين الله، فمكَّن الله لهم في الأرض كما وعدهم - ووعده الحق - بقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾(٢).

وقد دلَّل التاريخ على نجاح التربية المحمدية للصحابة رضوان الله عليهم، فبرز منهم عظماء الإسلام من الخلفاء والولاة والقضاة والقادة والعلماء والمربين، وتمكنوا من إرساء قواعد العقيدة ومنهاج الشريعة وأصول التربية وقيم الأخلاق في المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية، فلما توفي رسول الله ﷺ ترك في الدنيا الرجال الذين رباهم على عينه، وقد ودعهم الوداع الأخير عندما أطل عليهم من حجرته صفوفًا منتظمة خلف الصديق رضي الله عنه فابتسم ابتسامة الرضا والطمأنينة والثقة على مصير العقيدة في أيدي الصحابة الثقات.

وتتالت الأحداث الخطيرة بعد وفاته وعجم التاريخ عود الصحابة واختبر صلابة قناتهم التي لا تلين.. ارتد الأعراب خارج المدينة ومكة والطائف وامتنعوا عن أداء الزكاة، ونصح بعض الصحابة أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن يدعهم يصلون ولا يؤدون الزكاة فقال: «والله لأقاتلنَّ من فرَّق بين الصلاة

(١) الهيثمي: مجمع الزوائد ١٠/ ٤٠ وقال: رجاله رجال الصحيح.
(٢) النور: ٥٥.

والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عَناقًا كان يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها»[١]. فقاتل الأعراب حتى رجعوا إلى الإسلام، وأعاد توحيد الدولة، ونظم حملات الجهاد لفتح العراق والشام.

وتوفي أبو بكر رضي الله عنه وبايع الناس عمر بن الخطاب، فحرص الناس على الجهاد، وأتم فتح العراق وإيران والشام ومصر، وأعاد تنظيم الجيش ورتب ديوان الجند وفرض الخراج على الأراضي المفتوحة عنوة، وعزز استقلال القضاة عن الولاة، وحقق قول النبي ﷺ فيه: «لم أر عبقريًّا يفري فريه»[٢].

وعزز مبدأ الشورى وطبقه في حياته وعند وفاته، وبذلك أكَّد على دور الأمة ممثلة في أهل الحل والعقد، وصارت سيرته رمزًا للعدل المطلق على مدى التاريخ، ومات غيلة على يد أبي لؤلؤة المجوسي.

وهكذا كان دور عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب في إقامة صرح الإسلام، وتوسيع رقعة دولته، ودعاء الناس إلى اعتناقه، وإقامة الشرع الحنيف وأحكامه بين أتباعه، وإعلاء راية الجهاد، ونشر العلم، وإشاعة الفقه وتولي الفتيا، وإطفاء الفتن، حتى ماتا شهيدين - كما بشَّرهما رسول الله ﷺ -.

وبرغم حداثة عهد العرب بالدولة الواحدة التي لم يعرفوها قبل الإسلام، فقد دامت دولة الإسلام بعد رسول الله ﷺ قرونا طويلة، مما يدل على عمق الأساس الذي بناه رسول الله ﷺ، وعلى نجاح تربيته للصحابة الذين تولوا الأمر من بعده.

---

(١) النسائي: سنن ٥/ ٥ - ٦.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ١٩٨.

لقد خرَّجت مدرسة القرآن جيلاً عظيمًا في دينه، عظيمًا في خلقه، عظيمًا في جهاده، وحسن بلائه، وفتقت الأذهان والقرائح، وأنارت القلوب بوهج الإيمان، والعقول برحيق القرآن، وأثبتت تاريخيًّا أنها قادرة على تحقيق إنسانية الإنسان، والحفاظ على جوهره النقي، ومعدنه الأصيل، وفطرته السليمة، في حين أضاعت الأيديولوجيات والفلسفات الوضعية الإنسان وأحالته إلى مسخ، فصادرت روحه وعقله وخلقه، وغرست التوحش والانتقام، ونمت أنيابه ومخالبه، وما زالت مدرسة القرآن قادرة على إعادة الإنسان إلى إنسانيته، عندما يرتشف من رحيق الكتاب والسنة، ويقتدي بجيل الصحابة ﷺ.

*****

obeikandl.com

obeikandl.com

فضل الهجرة

لقد بين القرآن في آيات كثيرة فضل الهجرة في سبيل الله، ومكانة المهاجرين الأولين الذين خلد الله ذكرهم، وأعلى مكانهم، وبين عظيم أجرهم. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١). وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٤).

وكانت الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة دليلاً على ما للعقيدة من تأثير بالغ، يقوى على فصم روابط الإنسان بالمكان؛ أرضًا ومالاً ومصالح وأهلاً، فقد ترك المهاجرون كل ذلك وراءهم، عندما اقتضت مصلحة العقيدة ذلك، وكانوا يرسمون مستقبلاً وضيئًا لأمة الإسلام،

(١) البقرة: ٢١٨.

(٢) آل عمران: ١٩٥.

(٣) التوبة: ١١٧.

(٤) التوبة: ١٠٠.

فهجرتهم وصبرهم وجهادهم وتضحياتهم أقامت دولة الإسلام الأولى على أرض المدينة المباركة.

ومنذ ذلك الحين قبل أربعة عشر قرنًا استمرت دولة الإسلام تتوسع حتى شملت مساحة واسعة في قارات آسيا وأفريقيا وأوربا.

صبغتها جميعًا بصبغة العقيدة، وأظلتها بروح الإسلام، وحضارته الشامخة، وشريعته السمحاء، فوحدت قلوب الناس بالمعتقد، وقانونهم ونظامهم بالشرع، وسلوكهم ووجهتهم بأهداف الإسلام في تحرير الإنسان من الشرك والظلم والتيه. وكانت اللغة العربية أداة الاتصال بين جميع المسلمين من سائر الأجناس والألوان، إذ ما أن يعتنق الإنسان الإسلام حتى يسعى لتعلمها ومعرفة كتاب ربه وحديث نبيه بواسطتها.

وهكذا أسهم الجميع في بناء صرح أدب عربي إسلامي رفيع. كما أسهموا في فهم معاني القرآن والسنة وأحكامهما، ووضع قواعد الاستنباط منهما، فنمت الثروة الفقهية الهائلة التي هي مجهود عقول اعتصرها أصحابها للوصول إلى حكم الله في كل ما يستجد في الحياة من أحداث.

وكما خلد القرآن ذكر المهاجرين الأولين فقد خلد ذكر الأنصار الذين آووهم وشاركوهم بيوتهم وأموالهم، وعرضوا أمن مدينتهم للخطر في سبيل العقيدة التي اعتنقوها والدين الذي آمنوا به.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1]. وقال عليه

(١) الحشر: ٩.

الصلاة والسالم في بيان فضل الهجرة ومكانة النصرة: (ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار)[١].

وسميت المدينة بـ «دار الهجرة والسنة» كما في صحيح البخاري.

وصارت الهجرة إليها من مكة أولًا ثم من سائر الأنحاء الأخرى التي انتشر منها الإسلام، وكانت الآيات القرآنية تحث على الهجرة بقوة، وترتب عليها من الفضل العظيم، ورجاء رحمة الله، وتكفير السيئات، وتوبة الله تعالى على المهاجرين، ورضا الله عنهم، ودخول الجنة.. هذا في الآخرة، وأما التقويم في الدنيا فقد اعتبرت الهجرة من أفضل الأعمال، وأولاها برفع مرتبة المسلم معنويًا، ثم صار لها اعتبار مادي في العطاء السنوي، منذ أن نظم عمر رضي الله عنه العطاء. فاعتبر السابقة في الإسلام سببًا في زيادة عطاء المسلم السنوي، وكان المراد من الحث المستمر على الهجرة توفير القوة البشرية اللازمة للدفاع عن المدينة المنورة، لذلك لم تتوقف الهجرة إلا بعد فتح مكة المكرمة، حيث قال الرسول ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا**»[٢]. أما قبل فتح مكة فكانت الآيات القرآنية ترتب حقوقًا خاصة للمهاجرين، وتحد من حقوق المسلمين إذا لم يهاجروا. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾[٣].

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ٢٢٢ ط. استنبول.

(٢) متفق عليه (صحيح البخاري ٣/ ٢٠٠ وصحيح مسلم ٣/ ١٤٨٧ حديث رقم ١٣٥٣).

(٣) الأنفال: ٧٢.

ولـم يقبل القرآن عذرًا للقادرين على الهجـرة من أرضهم ممن يلاقون العنـت في المحافظـة على دينهم، فأرض الله واسـعة فيمكنهم الهجرة، ولا ينبغـي لهم الاسـتكانة للجبابرة، قال تعالـى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[١].

ووعـد اللـه تعالـى المهاجرين بالرزق والسـعة وثبـوت أجرهـم إذا توفوا في الهجـرة، فقـال: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[٢].

وتوافر النية الخالصة لازم للهجرة الصحيحة، كما هو شرط في كل الأعمال الصالحة، قال عليه الصلاة والسلام: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[٣].

ومـن أجل ذلك أمـر الله تعالـى نبيه ﷺ بامتحـان النسـاء المهاجرات بعـد صلح الحديبية، فمن تبين أنها هاجرت بسـبب العقيدة فإنها لا تعاد إلى أهلهـا، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾[٤].

---

(١) النساء ٩٧ - ٩٩.

(٢) النساء: ١٠٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٢ (رقم ١) ومسلم (رقم ١٩٠٧) واللفظ للبخاري.

(٤) الممتحنة: ١٠.

وكانت البيعة التي يبايع بها المؤمنون رسول الله ﷺ تشتمل على الهجرة، حتى كان فتح مكة، فأبى رسول الله ﷺ أن يبايع أحدًا على الهجرة لأنها انقطعت.

قال مجاشع: «أتيت النبي ﷺ بأخي بعد الفتح، فقلت: يا رسول الله جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة. قال: ذهب أهل الهجرة بما فيها. فقلت: على أي شيء تبايعه؟ قال: أبايعه على الإسلام والإيمان والجهاد»(١).

وعن مجاهد قال: قلت لابن عمر رضي الله عنهما: «إني أريد أن أهاجر إلى الشام قال: لا هجرة ولكن جهاد، فانطلق فأعرض نفسك فإن وجدت شيئًا وإلا رجعت»(٢).

وقد بين رسول الله ﷺ أن مهاجرة الحبشة الذين تركوا مكة في ظروف الاضطهاد بأمر الرسول ﷺ فهاجروا إلى الحبشة ثم هاجروا منها حين افتتح خيبر إلى المدينة المنورة بين أن لهم هجرتين، الهجرة إلى المدينة والهجرة إلى الحبشة، فقال ﷺ: «لكم أنتم يا أهل السفينة هجرتان»(٣).

إن عالم الإسلام اليوم لابد أن يقدر للعقيدة قدرها، ويعمل على إعادة بناء صرح العقيدة والحضارة من جديد، ويهجر المعصية إلى الطاعة، والفرقة إلى الوحدة، واليأس إلى الأمل، والكسل إلى العمل، والذل إلى العز، والضعف إلى القوة، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

*****

(١) رواه البخاري في صحيحه ٥/ ٩٧ (ط. استانبول). (رقم ٤٣٠٥، ٤٣٠٦) ومسلم (رقم ١٨٦٣) واللفظ للبخاري.

(٢) رواه البخاري في صحيحه ٥/ ٩٧.)رقم ٤٣٠٩).

(٣) رواه البخاري في صحيحه ٤/ ٢٦٤. (رقم ٣٨٧٦) ومسلم (رقم ٢٥٠٣).

انتهى الكتاب، وآخر دعوانا أن الحمد

لله رب العالمين

obeikandl.com

ثبت المصادر والمراجع للفصل الأول

١ - المصادر

القرآن الكريم:

ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد (٦٠٦هـ).

النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥ مجلدات، تحقيق طاهر أحمد الزواوي ومحمود محمد الطناحي.

ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري (٦٣٠هـ).

أسد الغابة في معرفة الصحابة، المطبعة الإسلامية بالأوفست، طهران - ١٢٨٠هـ.

الآجري: أبو بكر محمد بن الحسين (ت. ٣٦٠هـ).

الشريعة، ط. مطبعة أنصار السنة المحمدية، بتحقيق محمد حامد الفقي.

أحمد بن حنبل: (٢٤٠هـ).

المسند، ٦ مجلدات، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، وكذلك ط. أحمد محمد شاكر في القسم الذي حققه.

فضائل الصحابة، مجلدان، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، ونشر مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

الأزرقي: أبو الوليد أحمد بن محمد (ت ٢٢٢هـ).

أخبار مكة وما جاء بها من الآثار، ط ٣، تحقيق رشدي الصالح ملحس، دار الثقافة، مكة المكرمة - ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨م).

ابن إسحق: محمد (١٥١هـ).

السير والمغازي، تحقيق سهيل زكار، نشر دار الفكر (١٣٩٨هـ) ١٩٧٨م.

السيرة، تحقيق محمد حميد الله، نشر معهد الدراسات والأبحاث للتعريب - ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م).

الآلوسي: شهاب الدين محمود البغدادي (ت ١٢٧٠هـ).

روح المعاني، نشر إدارة الطباعة المنيرية، مصر.

البخاري: محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ).

الصحيح ط. المكتبة الإسلامية باستانبول، وأيضا بواسطة فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر.

الأدب المفرد، ط. المكتبة السلفية بمصر ١٣٧٩هـ.

التاريخ الكبير مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - ١٢٦٢هـ.

البكري: عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي (٤٨٧هـ).

معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا، نشر عالم الكتب - بيروت.

البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (٢٩٧هـ).

openkandil.com

أنساب الأشراف، المجلد الأول، تحقيق محمد حميد الله ط. دار المعارف بمصر.

البوصيري: أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن عمر الكناني (ت ٨٤٠هـ).

إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (مخطوط منه صورة بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة).

مصباح الزجاجة، تحقيق كمال يوسف الحوت، نشر دار الجنان، بيروت - ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م).

البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ):

دلائل النبوة، تحقيق عبدالمعطي قلعجي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥م).

السنن الكبرى، ط ١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند - ١٣٤٤هـ.

الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ).

السنن، تحقيق أحمد محمد شاكر، وآخرين، نشر دار إحياء التراث العربي - بيروت.

ابن تيمية: أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم (ت ٧٢٨هـ) الجواب الصحيح مطابع المجد التجارية.

منهاج السنة، ط. ١، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر - ١٣٢١هـ.

ابن الجوزي: أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (٥٩٧هـ).

الموضوعات، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، طبع المكتبة السلفية بالمدينة المنورة - ١٣٨٣هـ.

صفة الصفوة، ٤ أجزاء، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن - ١٣٥٧هـ.

ابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ).

الجرح والتعديل، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - ١٩٥٦م.

حاجي خليفة: مصطفى بن عبدالله كاتب جلبي (ت ١٠٦٨م)

كشف الظنون، مجلدان، تحقيق محمد شرف الدين يالتقايا، ورفعت بيلكة الكيلسي، المطبعة البهية، إستانبول ١٣٦٠ هـ (١٩٤١م).

الحاكم النيسابوري: أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت ٤٠٥هـ).

المستدرك طبعة حيدر آباد الدكن، الهند - ١٣٤١هـ.

ابن حبان البستي: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي (ت ٣٥٤هـ).

الثقات ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - ١٤٠١هـ.

المجروحين، ٣ أجزاء، تحقيق محمود إبراهيم زايد، نشر دار المعرفة، بيروت.

ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ).

فتح الباري، ١٣ مجلدا، ط. المطبعة الخيرية، القاهرة - (١٣١٩ - ١٣٢٩هـ).

هدى الساري ط. المطبعة الخيرية، القاهرة.

تعليق التعليق، ٥ مجلدات، تحقيق سعيد عبدالرحمن موسى القزفي، نشر المكتب الإسلامي، بيروت - ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥م).

تعجيل المنفعة برجال الأربعة، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن.

تقريب التقريب، تحقيق محمد عوامة، نشر دار الرشيد، حلب - ١٤٠٦ هـ (١٩٨٦م).

تهذيب التهذيب، ١٢ جزءا، ط. دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - (١٣٢٥ - ١٣٢٧هـ).

لسان الميزان، ٦ أجزاء، ط ١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - ١٣٢٩هـ.

الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر القاهرة.

التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ٤ أجزاء، تحقيق عبدالله هاشم اليماني، نشر دار المعرفة- بيروت منتقى من مغازي الواقدي (مخطوط).

obeikandl.com

المعجم المفهرس (مخطوط).

العجاب في بيان أسباب النزول (مخطوطة منها صورة في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة).

ابن حزم الظاهري: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ).

جوامع السيرة، ط. دار المعارف بمصر.

الحلبي: علي بن برهان الدين الشافعي (ت ١٠٤٤هـ).

إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (السيرة الحلبية)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة - ١٩٦٢م.

الحميدي: محمد بن أبي نصر (ت ٤٤٨هـ).

المسند، ط. دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن.

الخرائطي: أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل السامري (ت ٣٢٧هـ).

هواتف الجان، طبع ضمن «نوادر الرسائل» تحقيق إبراهيم صالح، ط٢، نشر مؤسسة الرسالة - ١٤٠٧ هـ (١٩٨٦م).

الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي (ت ٤٦٣هـ).

تاريخ بغداد، ١٤ مجلدا، ط١، مطبعة السعادة، مصر - ١٣٤٩هـ (١٩٣١م).

الموضح لأوهام الجمع والتفريق، جزءان، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند ١٣٧٩ هـ (١٩٦٠م).

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق الدكتور محمود الطحان، نشر مكتبة المعارف، الرياض - ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣م).

خليفة بن خياط:

التاريخ، ط ١، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٩٧هـ.

الطبقات، ط١ تحقيق أكرم ضياء العمري، مطبعة العاني، بغداد - ١٩٦٧م.

ابن خير الإشبيلي: أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي (ت ٥٧٥هـ).

فهرسة ما رواه عن شيوخه، تحقيق فرنشسكة، طبعة المكتب التجاري ومكتبة المثنى ومؤسسة الخانجي - ١٣٨٢ هـ (١٩٦٣م).

الدارمي: أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام (ت ٢٥٥هـ).

السنن، مجلدان، تحقيق محمد أحمد دهمان، مطبعة الاعتدال، دمشق - ١٣٤٩هـ.

أبو داود السجستاني: سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ).

السنن: ٥ مجلدات، ط١، بعناية عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، نشر دار الحديث، بيروت - ١٣٨٨ هـ (١٩٦٩م) وأحيانا طبعة محيي الدين عبدالحميد.

ابن أبي الدنيا: أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبيد القرشي (ت ٢٨٢هـ).

هواتف الجان (مخطوط).

الدولابي: أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد (ت ٣٢٠هـ).

الكنى والأسماء، جزءان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - ١٣٢٢ هـ.

الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ).

سير أعلام النبلاء، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.

ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ط. محمد علي البجاوي، دار المعرفة - بيروت ١٣٨٢هـ (١٩٦٣م).

تذكرة الحفاظ، ٤ أجزاء، ط٣، مطبعة مجلس دائرة المعارف البريطانية بحيدر آباد الدكن -١٩٥٥م.

السيرة النبوية، وهي المجلد الأول من تاريخ الإسلام نشرته مستقلا دار الكتب العلمية - بيروت.

العلو للعلي الغفار، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر - ط٢، ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨م).

تاريخ الإسلام، مكتبة القدسي، مصر - ١٣٦٧هـ.

الزرقاني: محمد بن عبدالباقي بن يوسف (ت ١١٢٢هـ).

شرح المواهب اللدنية، ط١، المطبعة الأزهرية، مصر -١٣٢٧هـ.

obeikandl.com

الزركشي: أبو عبدالله محمد بن بهادر (ت ٧٩٤هـ).

البرهان في علوم القرآن، ٤ أجزاء، ط ١، ١٣٧٦هـ (١٩٥٧م).

السخاوي: محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ).

فتح المغيث، ٣ مجلدات، نشر محمد عبدالمحسن الكتبي، مطبعة العاصفة القاهرة.

الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، طبع مع كتاب علم التاريخ عند المسلمين لروز نثال، ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي، نشر مكتبة المثنى ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بغداد - ١٩٦٣م.

ابن سعد: محمد (ت٢٣٠هـ).

الطبقات الكبرى، نشر دار صادر - بيروت.

السفاريني: محمد بن أحمد.

لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية نشر المكتب الإسلامي بيروت ومكتبة أسامة بالرياض.

السهيلي: عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد (ت ٥٨١هـ).

الروض الأنف: تحقيق عبدالرحمن الوكيل، نشر دار الكتب الحديثة، القاهرة.

ابن سيد الناس: أبو الفتح محمد بن محمد اليعمري (ت ٧٣٤هـ)

عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، مكتبة القدس - ١٣٥٦هـ.

السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ).

الدر المنثور في التفسير بالمأثور، نشر محمد أمين دمج، بيروت.

لباب النقول في أسباب النزول، نشر دار إحياء العلوم، بيروت - ١٤٠٣هـ.

الخصائص الكبرى، ط٢، م طبعة المدني، مصر.

الشوكاني: محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ).

فتح القدير، نشر دار الفكر، ط٢، ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣م).

نيل الأوطار، تحقيق طه عبدالرءوف سعد ومصطفى محمد الهواري - نشر مكتبة الكليات الأزهرية - ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨م).

ابن أبي شيبة: أبو بكر عبدالله بن محمد (ت ٢٣٥هـ).

المصنف، تحقيق عبدالخالق الأفغاني، نشر الدار السلفية - ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م).

الصالحي: محمد بن يوسف الشامي (ت ٩٤٢هـ).

سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق الدكتور مصطفى عبدالواحد وآخرين، نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر.

obeikandl.com

الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ).

المعجم الكبير. ط. تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي، نشر وزارة الأوقاف العراقية.

المعجم الأوسط، تحقيق الدكتور محمود الطحان، نشر مكتبة المعارف بالرياض.

المعجم الصغير، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، دار النصر للطباعة، القاهرة - ١٣٩٨هـ (١٩٦٨م).

الطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ).

تفسير (جامع البيان عن تأويل القرآن)، ط ٣، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

تاريخ الرسل والملوك، ١٠ مجلدات، بعناية أبي الفضل إبراهيم، نشر دار المعارف بمصر - ١٩٦٠ - ١٩٦٩.

الطحاوي: أبو جفعر أحمد بن محمد بن سلامة (ت ٣٢١هـ).

شرح معاني الآثار، مطبعة الأنوار المحمدية، تحقيق محمد سيد جاد الحق، القاهرة - ١٣٨٧ هـ (١٩٦٨م).

الطيالسي: سليمان بن داود بن الجارود (ت هـ)

المسند: طبع دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن.

ابن عبدالبر: أبو عمر يوسف بن عبدالبر النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ).

الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٤ أجزاء، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر، القاهرة (دون تاريخ)، وأحيانا بحاشية الإصابة، مطبعة مصطفى محمد، مصر.

الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق الدكتور شوقي ضيف.

الصنعاني عبدالرزاق بن همام الصنعاني. (ت ٢٢١هـ).

المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط١، دار القلم بيروت - ١٣٩٠هـ.

أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ).

غريب الحديث، طبعة حيدر آباد الدكن، الهند - ١٩٦٤م.

ابن عدي: أبو أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥هـ).

الكامل في ضعفاء الرجال، ط١، نشر دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤م).

العراقي: زين الدين أبو الفضل عبدالرحيم بن الحسين (ت ٨٠٦هـ).

طرح التثريب شرح التقريب.

ابن عساكر: علي بن الحصن بن هبة الله بن عبدالله الشافعي (ت ٥٧١هـ).

تاريخ دمشق (مخطوط).

تاريخ دمشق (السيرة)، تحقيق نشاط غزاوي، نشر مجمع اللغة العربية، بدمشق - ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤م).

obeikandl.com

العسكري: أبو أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكري (ت ٣٨٢هـ).

تصحيفات المحدثين، ٣ مجلدات، تحقيق الدكتور محمود الميرة، ط١، المطبعة العربية الحديثة ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢م).

العقيلي: أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد المكي (ت ٣٢٢هـ).

الضعفاء الكبير، تحقيق عبدالمعطي أمين قلعجي، ط١، نشر دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤م).

الفاكهي: أبو عبدالله محمد بن إسحاق (القرن الثالث الهجري).

أخبار مكة، تحقيق عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، ط١، نشر مكتبة النهضة الحديثة - ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧م).

ابن فهد: عمر بن فهد الهاشمي المكي (ت ٨٨٥هـ).

معجم الشيوخ، تحقيق محمد الزاهري، منشورات دار اليمامة - السعودية - ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م).

ابن قتيبة: أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ).

المعارف، ط٤، تحقيق الدكتور ثروت عكاشة، نشر دار المعارف بمصر - ١٩٨١م.

ابن قدامة المقدسي: عبدالله بن أحمد بن محمد (ت٦٢٠هـ).

obeikandl.com

التبيين في أنساب القرشيين، تحقيق محمد نايف الدليمي، نشر المجمع العلمي العراقي - ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م).

ابن القيم: شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت ٧٥١هـ).

زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، ومكتبة المنار الإسلامية ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥م).

ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ).

البداية والنهاية، تحقيق الدكاترة أحمد أبو ملحم وعلي نجيب عطوي وآخرين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م).

السيرة، تحقيق مصطفى عبدالواحد (وهي قطعة من البداية والنهاية أفردها).

ابن الكيال: أبو البركات محمد بن أحمد (ت ٩٣٩هـ).

الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات، تحقيق عبدالقيوم عبد رب النبي، نشر دار المأمون للتراث، بيروت ودمشق - ١٤٠١هـ (١٩٨١م).

ابن ماجة: أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ).

السنن، مجلدان، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، مصر - ١٩٥٣م.

ابن ماكولا: أبو نصر علي بن هبة الله (ت ٤٧٥هـ).

الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف، تحقيق عبدالرحمن ابن يحيى المعلمي اليماني، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن - ١٣٨١هـ (١٩٦٢م).

مالك بن أنس: (١٧٩هـ).

الموطأ، بعناية محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

المباركفوري: أبو العلاء محمد بن عبدالرحمن (١٣٥٣هـ).

تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، ط. مصر.

محمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥هـ).

المنمق في أخبار قريش، تحقيق خورشيد أحمد فارق، ط١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م).

المزي: جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبدالرحمن (ت ٧٤٢هـ).

تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، نشر دار القيمة، بومباي - ١٣٨٤هـ.

تهذيب الكمال، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.

المسعودي:

مروج الذهب.

مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ).

obeikandl.com

الصحيح، ٥ مجلدات، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ط١، نشر دار إحياء الكتب العربية، مصر - (١٣٧٤ - ١٣٧٥هـ).

المقريزي: تقي الدين أبو العباس أحمد (ت ٨٤٥هـ).

إمتاع الأسماع، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة - ١٩٤١م.

ملا علي القاري:

شرح الشفا للقاضي عياض، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن النديم: محمد بن إسحاق (ت ٣٨٥هـ).

الفهرست، نشر مكتبة خياط.

النسائي: أبو عبدالرحمن أحمد بن علي بن شعيب (ت ٣٠٣هـ).

خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تحقيق أحمد ميرين البلوشي، ط١ - نشر مكتبة المعلي، بيروت - ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م).

السنن (المجتبى) ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

أبو نعيم الأصبهاني: أحمد بن عبدالله (ت ٤٣٠هـ).

دلائل النبوة، توزيع دار الباز، مكة المكرمة، طبع بمصر ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م).

النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف الشافعي (ت ٦٧٦هـ).

المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج.

ابن هشام: أبو محمد عبدالملك بن هشام الحميري (ت ٢١٨هـ).

openkanal.com

السيرة النبوية، تحقيق السقا والأبياري وشلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٧٥ هـ.

الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ).

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ط. مصر.

بغية الباحث في زوائد مسند الحارث، تحقيق الدكتور حسين الباكري (أطروحة ماجستير مكتوبة بالآلة الكاتبة).

الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري (ت ٤٦٨هـ).

أسباب النزول، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢).

الواقدي: محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ).

المغازي، نشرة مارسدن جونس، تصوير مؤسسة الأعلمي، بيروت. وكذلك نشرة فون كريمر بالهند، ومعه قطعة من السيرة الصحيحة لسليمان بن طرخان.

يعقوب بن سفيان الفسوي: (ت ٢٧٧هـ).

المعرفة والتاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط٣، نشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة - ١٤٠٨ هـ (١٩٨٨م).

أبو يعلى الموصلي: أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي (ت ٣٠٧هـ).

المسند، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، بيروت - ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤م).

ب- المراجع الحديثة

الأعظمي: (د. محمد مصطفى):

مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير برواية أبي الأسود عنه، تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، عام ١٤٠١ هـ (١٩٨١م).

الألباني: (محمد ناصر الدين)

فهرس مخطوطات الظاهرية، دمشق - ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠م).

سلسلة الأحاديث الصحيحة، ط ٤، نشر المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥م).

سلسلة الأحاديث الضعيفة، ط ٥، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥م).

صحيح سنن الترمذي، ط١، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج - ١٤٠٦ هـ (١٩٨٦م).

صحيح سنن ابن ماجة، ط١، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج - ١٤٠٨ هـ (١٩٨٨م).

تخريج أحاديث «فقه السيرة للغزالي».

دفاع عن الحديث النبوي والسيرة، نشر مؤسسة ومكتبة الخافقين، دمشق.

obeikandl.com

مشكاة المصابيح، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - ١٣٨٠هـ.

نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق، نشر المكتب الإسلامي بدمشق.

البنا: أحمد عبدالرحمن الساعاتي.

منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود، ط. المطبعة المنيرية - مصر ١٣٧٣هـ.

الفتح الرباني مع شرحه بلوغ الأماني، نشر دار الشهاب، القاهرة.

البلادي: عاتق بن غيث.

معجم المعالم الجغرافية في السيرة، دار مكة للنشر والتوزيع ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢م).

جواد علي:

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٣، نشر دار العلم للملايين ببيروت، ومكتبة النهضة ببغداد - ١٩٨٠م.

تاريخ العرب قبل الإسلام (السيرة النبوية)، ج١، بغداد، مطبعة الزعيم - ١٩٦١م.

حجازي: أحمد حجازي السقا

التوراة السامرية، نشر دار الأنصار، مصر - ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨م)

دائرة المعارف الإسلامية.

دائرة المعارف للبستاني.

obeikandl.com

دراز: (محمد عبدالله):

مدخل إلى القرآن الكريم، نشر دار القلم، الكويت - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠م).

الدوري (عبدالعزيز):

نشأة علم التاريخ عند العرب، ط١، المطبعة الكاثوليكية، بيروت -١٩٦٠م.

سليمان السعود:

أحاديث الهجرة، رسالة ماجستير قدمت إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

سليمان بن حمد العودة:

السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق (أطروحة دكتوراه قدمت لقسم التاريخ بكلية العلوم الاجتماعية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية).

سهيل زكار:

المغازي النبوية للزهري، دار الفكر دمشق - ١٤٠١ هـ (١٩٨١م).

السيد أحمد أبو الفضل عوض الله:

مكة في عصر ما قبل الإسلام، ط ٢،مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز - ١٤٠١ هـ (١٩٨٠م).

obeikandl.com

السيوطي: الخصائص الكبرى.

شوقي ضيف:

مقدمة لكتاب «الدرر في اختصار المغازي والسير»، ط ٢، دار المعارف بمصر ١٤٠٣هـ.

صبحي صالح:

علوم الحديث ومصطلحه، مطبعة جامعة دمشق، دمشق ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩م).

عادل عبدالغفور:

مرويات السيرة في العهد المكي إلى نهاية حدث الإسراء والمعراج، رسالة ماجستير قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

عصام عبدالمحسن الحميدان:

أسباب النزول وأثرها في التفسير (رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة مقدمة إلى قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

العلي (صالح):

محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام.

عماد الدين خليل:

دراسة في السيرة. ط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.

العمري (أكرم ضياء):

بحوث في تاريخ السنة المشرقة، ط٤، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت -١٤٠٥ هـ (١٩٨٤م).

الغزالي (محمد):

فقه السيرة، ط٣، نشر دار القلم، دمشق - ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧م).

غوستان لوبون:

حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة - ١٩٦٩م.

فاضل صالح السامرائي:

نبوة محمد بين الشك واليقين، نشر مؤسسة الرسالة - بيروت.

فنسنك:

مفتاح كنوز السنة، ترجمة محمد فؤاد عبدالباقي، نشر دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٤٠٢ هـ (١٩٨٣م).

المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، نشر مكتبة بريل، لندن - ١٩٣٦م.

كولون ولسن:

الإنسان وقواه الخفية.

محمد باقشيش:

obeikandl.com

مغازي موسى بن عقبة، رسالة ماجستير مقدمة إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. محمد عزة دروزة.

سيرة الرسول، صور مقتبسة من القرآن الكريم، طبع بعناية عبدالله بن إبراهيم الأنصاري. قطر - ١٤٠٠هـ.

محمود سليم الحوت:

في طريق الميثولوجية عند العرب، دار النهار للنشر، بيروت - ١٩٧٩م.

مصطفى السباعي:

السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مطبعة المدني - القاهرة ١٣٨٠ هـ (١٩٦١م).

مونتكمري واط:

محمد في مكة، تعريب شعبان بركات، نشر المكتبة العصرية - بيروت.

*****

obeikandi.com

ثبت المصادر والمراجع للفصل الثاني

مصادر موضوع أهل الصفة

القرآن الكريم:

١ - أحمد بن حنبل (ت ٢٤٠هـ) المسند، ٦ مجلدات (دون محل وتاريخ الطبع).

٢ - البخاري: محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ) الصحيح، ٩ أجزاء في ثلاثة مجلدات، مطبوعات محمد علي صبيح، مصر (دون تاريخ).

٣ - ابن أبي حاتم: أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ) كتاب الجرح والتعديل، ٧ مجلدات، ط ١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن - الهند (١٩٥٢ - ١٩٥٦).

٤ - حاجي خليفة: مصطفى بن عبدالله (ت ١٠٦٨هـ) كشف الظنون، مجلدان، تحقيق محمد شرف الدين يالتقيا ورفعت بيلكة الكليسي المطبعة البهية، استانبول - ١٣٦٠ هـ (١٩٤١م).

٥ - خليفة بن خياط (٢٤٠هـ) التاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري، مطبعة الآداب، النجف - ١٩٦٧م.

٦ - أبو داود السجستاني: سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ) السنن، مجلدان، ط١، بعناية أحمد سعد علي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر - ١٣٧١هـ (١٩٥٢م).

٧ - ابن سعد: محمد (ت ٢٣٠هـ) الطبقات الكبرى، ٨ أجزاء، نشر دار بيروت ودار صادر - بيروت - ١٩٥٨م.

٨ - السلمي: أبو عبدالرحمن محمد بن الحسين السلمي النيسابوري (ت ٤١٢هـ) طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريبة.

٩ - السمهودي: علي بن عبدالله بن شهاب الدين الحسيني الشافعي (ت ١٠١١هـ) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، مجلدان، مطبعة الآداب والمؤيد، مصر ١٣٢٦هـ.

١٠ - ابن سيد الناس: أبو الفتح محمد بن عبدالله (ت ٧٣٤هـ) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، جزءان، نشر مكتبة القدسي، القاهرة (دون تاريخ).

١١ - الطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) تفسير الطبري، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة دار المعارف، مصر.

١٢ - ابن كثير: عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم، ٤ أجزاء، طبع بدار إحياء الكتب العربية بمصر.

١٣ - ابن ماجة: أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ) السنن، مجلدان، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية بمصر، ١٩٥٣م.

١٤ - مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ) الصحيح، ٥ مجلدات، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ط١، دار إحياء الكتب العربية، مصر ١٣٧٤ - ١٣٧٥هـ.

١٥ - ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ) لسان العرب، ٢٠ مجلدا، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر ١٣٠٠ - ١٣٠٧هـ.

١٦ - النسائي: أبو عبدالرحمن أحمد بن علي بن شعيب (ت ٣٠٣هـ) السنن، ٨ أجزاء في أربعة مجلدات، نشر المكتبة التجارية، القاهرة.
١٧ - أبو نعيم: أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) حلية الأولياء، ١٠ مجلدات، ط١، مطبعة السعادة، مصر ١٣٥١ - ١٣٥٧ هـ.
١٨ - ياقوت: أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٢ هـ) معجم البلدان، ٦، مجلدات، تحقيق وستنفلد، لا يبرك ١٨٦٦ - ١٨٧٠م.

المراجع الحديثة.

١ - أكرم العمري: بحوث في تاريخ السنة المشرفة، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٦٧م.
٢ - ريكندورف: دائرة المعارف الإسلامية، مجلد ٣، ترجمة عباس محمود ورفاقه.
٣ - سامي مكي العاني: ديوان كعب بن مالك الأنصاري، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٦م).

*****

obeikandl.com

مصادر بحث إعلان دستور المدينة

١ - القرآن الكريم:

٢ - ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد (ت ٦٠٦ هـ) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥ مجلدات، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، نشر عيسى البابي الحلبي القاهرة - ١٩٦٣.

٣ - أحمد بن حنبل (٢٤٠ هـ). المسند، ٦ مجلدات (دون محل وتاريخ الطبع).

٤ - البخاري: محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ). الصحيح، ٩ أجزاء، ط مصطفى البابي الحلبي، القاهرة - وأحيانا ط. ليدن وقد ميزتها في الحاشية - ١٩٥٨.

٥ - البلاذري: أحمد بن يحيي بن جابر (ت٢٧٦هـ). أنساب الأشراف، الجزء الأول، تحقيق محمد حميد الله «ط١، مطبعة دار المعارف، مصر -١٩٥٩.

٦ - البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت٤٥٨ هـ) كتاب السنن الكبرى، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن.

٧ - الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة السلمي (ت ٢٧٩هـ). صحيح الترمذي بشرح ابن العربي المالكي، ط١، المطبعة المصرية بالأزهر - ١٩٣١م.

٨ - الحاكم: أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري (ت٤٠٥ هـ). المستدرك على الصحيحين، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض.

٩ - ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر (ت٨٥٢هـ) تهذيب التهذيب، ١٢ مجلدا، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن ١٣٢٥ - ١٣٢٧هـ.

١٠ - ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت٤٥٦هـ). جوامع السيرة، تحقيق الدكتور إحسان عباس والدكتور ناصر الدين الأسد، ط. دار المعارف المصرية.

١١ - الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ). تاريخ بغداد، ١٤ مجلدا، بعناية محمد حامد الفقي، ط١، مطبعة السعادة، مصر ١٣٤٩ هـ(١٩٣١م). تقييد العلم، تحقيق الدكتور يوسف العش دمشق - ١٩٤٩م.

١٢ - خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ). التاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري، مطبعة الآداب، النجف - ١٩٦٧م.

١٣ - أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ). السنن. بعناية الشيخ أحمد سعد علي، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٢م.

١٤ - الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ). تاريخ الإسلام، طبع منه ٦ أجزاء، مطبعة السعادة بمصر ١٣٦٧ - ١٣٦٩هـ.

١٥ - الزرقاني: شرحه على المواهب اللدنية للقسطلاني، ط١، المطبعة الأزهرية المصرية - ١٣٢٧هـ.

١٦ - الزيلعي: الإمام جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف الحنفي (ت ٧٦٢هـ) نصب الراية لأحاديث الهداية، ط١، مطبعة دار المأمون، القاهرة ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م.

١٧ - ابن سعد: محمد (ت ٢٣٠هـ) الطبقات الكبرى، ط. ليدن.

١٨ - ابن سيد الناس: أبو الفتح محمد بن محمد بن عبدالله (ت٧٣٤هـ) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، جزءان نشر مكتبة القدسي - القاهرة (دون تاريخ).

١٩ - الشوكاني: محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ). نيل الأوطار، ٤ مجلدات، ط٣، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٥٢ - ١٩٦١م.

٢٠ - الطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ). تاريخ الطبري، ١٠ مجلدات، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - مصر.

٢١ - أبو عبيد: القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ). الأموال تحقيق محمد خليل هراس، ط١، مصر - ١٣٨٨هـ. (١٩٦٨م).

٢٢ - ابن القيم: أبو عبدالله محمد (ت ٧٥١هـ). زاد المعاد، ٤ أجزاء، ط١،مطبعة محمد علي صبيح مصر ١٣٥٣هـ ١٩٣٤م.

٢٣ - ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) البداية والنهاية، ١٤ جزءا، ط١، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٥١ هـ (١٩٣٢م).

٢٤ - ابن ماجة: محمد بن يزيد (ت ٢٧٣هـ).

السنن، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، نشر دار إحياء الكتب العربية، القاهرة - ١٩٥٣م.

٢٥ - مالك بن أنس: (١٧٩هـ). المدونة الكبرى، ٨مجلدات، مطبعة السعادة، مصر - ١٣٢٣هـ.

٢٦ - مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ). صحيح مسلم بشرح النووي، مصر - ١٣٤٩هـ.

٢٧ - المقدسي: المطهر بن طاهر (ت ٣٥٥هـ). كتاب البدء والتاريخ، ٦ أجزاء، بعناية كلمان هوار، باريس ١٩٠٣م.
٢٨ - المقريزي: تقي الدين أبو العباس أحمد (ت ٨٤٥هـ) إمتاع الأسماع، تحقيق محمود شاكر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤١م.
٢٩ - ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ) لسان العرب، ط. دار صادر بيروت.
٣٠ - ابن هشام: أبو محمد عبدالملك (ت ٢١٨هـ). السيرة النبوية، ٤ مجلدات، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي، ط ٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥م.
٣١ - الواقدي: محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ). كتاب المغازي، ٣ أجزاء، تحقيق الدكتور مارسدن جونس مطبعة أوكسفورد - ١٩٦٦م.
٣٢ - أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري (ت ١٨٢هـ). الرد على سير الأوزاعي، بتحقيق أبي الوفا الأفغاني، ط١، مصر - ١٣٥٧هـ.

المراجع الحديثة:

٣٣ - أكرم العمري: بحوث في تاريخ السنة المشرفة، ط١، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٦٧م.
٣٤ - صالح أحمد العلي: تنظيمات الرسول الإدارية في المدينة، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد السابع عشر، بغداد - ١٩٦٩م.

٣٥ – فلهاوزن: الدولة العربية وسقوطها، ترجمة يوسف العش، مطبعة الجامعة السورية، دمشق –١٩٥٦م.

٣٦ – محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية، ط٢، الناشر دار الإرشاد، بيروت ١٣٨٩ – ١٩٦٩م.

٣٧ – محمد عزة دروزة: سيرة الرسول، ط٢، الناشر مطبعة عيسى البابي الحلبي مصر – ١٩٦٥م.

38 - Sarjaant, The constitution of Medina in Islamic Quarterty.Vlll / 1 - 2.

*****

obeikandl.com

ثبت المصادر والمراجع للفصل الثالث

(١) القرآن الكريم

إبراهيم القريبي

(٢) مرويات غزوة بني المصطلق، نشر المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٠٢هـ.

ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق محمود الطناحي، نشر المكتبة الإسلامية، مصر (دون تاريخ)

أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ):

(٤) المسند، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط. دار المعارف بمصر؛ وطبعة المكتب الإسلامي بيروت.

الأزرقي: أبو الوليد أحمد بن محمد (ت ٢٢٢هـ).

(٥) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ط ٣، تحقيق رشدي الصالح ملحس، دار الثقافة، مكة المكرمة ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨م).

ابن إسحاق: محمد بن إسحاق (ت ١٥٠هـ).

(٦) السيرة (المبتدأ والمبعث والمغازي)، تحقيق محمد حميد الله ١٣٩٦هـ.

الألباني: محمد ناصر الدين.

obeikandl.com

(٧) الأحاديث الصحيحة، نشر الكتب الإسلامي.
(٨) حجة النبي ﷺ، ط٢، نشر المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٨٤هـ.
(٩) صحيح سنن أبي داود.
(١٠) تخريج أحاديث كتاب «فقه السيرة لمحمد الغزالي.
(١١) إرواء الغليل

آل بسام: عبدالله بن صالح
(١٢) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة ١٣٩٨هـ.

البنا الساعاتي: أحمد عبدالرحمن.
(١٣) الفتح الرباني، ط١، مصر ١٣٧٧هـ.

البخاري: محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ).
(١٤) الصحيح (مع فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني)، وأحيانا ط. استانبول، وأحيانا ط. مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٧٨هـ.
(١٥) الأدب المفرد.

البلادي: عاتق بن غيث.
(١٦) معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة للنشر والتوزيع ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢م).
(١٧) نسب حرب، مكتبة دار البيان، ط ١، دمشق ١٣٩٧هـ.

البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ).

(١٨) أنساب الأشراف، نشر مكتبة النهضة العربية (دون تاريخ).

البوصيري: أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن عمر الكناني (ت ٨٤٠هـ).

(٢٠) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، مخطوطة مصورة بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ).

(٢١) السنن الكبرى، ط١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٤٤هـ.

ابن التركماني: علاء الدين علي بن عثمان (ت ٧٤٥هـ).

(٢٢) الجوهر النقي (بحاشية السنن الكبرى للبيهقي)، ط. مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند.

الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ).

(٢٣) سنن، ط. السلفية، المدينة المنورة

وأحيانا بتحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، مطبعة المدني، مصر ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م).

ابن تيمية: مجد الدين عبدالسلام بن عبدالله (ت٦٥٢هـ).

(٢٤) منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار (مع شرحه نيل الأوطار للشوكاني).

ابن تيمية: أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم (٧٢٨هـ).

(٢٥) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ط١، دار المعرفة بيروت.

ابن الجوزي: أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ).

(٢٦) تلقيح فهوم أهل الأثر، ط١، مطبعة الآداب، مصر.

(٢٧) الوفاء بأخبار المصطفى، ط١، مطبعة السعادة، مصر.

(٢٨) زاد المسير في علم التفسير، ط١، نشر المكتب الإسلامي، ١٣٨٥هـ.

حافظ محمد حكمي:

(٢٩) مرويات غزوة الحديبية، رسالة ماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٠٣ هـ (مطبوعة على الآلة الكاتبة).

الحاكم النيسابوري: أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت ٤٠٥هـ).

(٣٠) المستدرك، ط. حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٤١هـ.

ابن حبان البستي: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي (ت ٣٥٤هـ)

(٣١) الثقات، ط١،مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند ١٤٠١هـ.

ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ).

(٣٢) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط ١، المطبعة العصرية، الكويت ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣م).

(٣٣) فتح الباري، ط. السلفية.

(٣٤) تهذيب التهذيب، ط. دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند.

(٣٥) الإصابة في معرفة الصحابة، مطبعة مصطفى محمد، مصر ١٣٥٨ هـ، وأحيانا طبعة الكليات الأزهرية ١٣٩٦ هـ، وأحيانا ط. البجاوي.

(٣٦) مختصر زوائد مسند البزار، مخطوطة مصورة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٣٧) تقريب التهذيب، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، ط. النمنكاني.

(٣٨) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ط١، المكتبة الأثرية، باكستان ١٣٩٣ هـ، وأحيانا بتحقيق عبدالله هاشم اليماني المدني، القاهرة (دون تاريخ).

الحربي: أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم (ت ٢٨٥هـ).

(٣٩) كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، الرياض ١٣٨٩هـ.

ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦هـ).

(٤٠) جوامع السيرة. ط. دار المعارف بمصر (دون تاريخ)، وأحيانا ط. إحياء السنة باكستان.

حماد بن إسحاق القاضي (ت٢٦٧هـ).

(٤١) تركة النبي ﷺ، مخطوطة الظاهرية، وقد طبعت أخيرًا بتحقيق أكرم العمري مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٣هـ.

الحميدي: محمد بن أبي نصر (ت ٤٨٨هـ).

(٤٢) مسند الحميدي، ط. دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند.

ابن خزيمة

(٤٣) الصحيح، تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي ومراجعة محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.

خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ).

(٤٤) التاريخ، تحقيق أكرم العمري، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٧هـ.

(٤٥) الطبقات، تحقيق أكرم العمري، ط ١ ، مطبعة العاني، بغداد ١٣٨٧هـ.

أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ).

(٤٦) سنن، ط ١، تعليق أحمد سعد علي، مطبعة البابي الحلبي، مصر ١٣٧١ هـ، وأحيانا مع حاشية السندي، المطبعة الأزهرية، مصر، وأحيانا مع معالم السنن للخطابي، تحقيق الدعاس، ط١، حمص ١٣٨٨هـ.

(٤٧) المراسيل، ط. محمد علي صبيح، مصر

الذهبي: أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ).

(٤٨) تاريخ الإسلام، مكتبة القدسي، مصر ١٣٦٧هـ.

(٤٩) ميزان الاعتدال، دار المعرفة، بيروت (دون تاريخ).

(٥٠) سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الزرقاني: محمد بن عبدالباقي بن يوسف (ت١١٢٢هـ).

(٥١) شرح المواهب اللدنية، ط١. المطبعة الأزهرية، مصر ١٣٢٧هـ.

ابن زنجويه: أبو أحمد حميد بن مخلد الأزدي (٢٥١هـ)

(٥٢) الأموال، تحقيق شاكر ذيب فياض، رسالة دكتوراه من كلية الشريعة بجامعة أم القرى (مطبوعة على الآلة الكاتبة).

ابن سعد: محمد (ت ٢٣٠هـ).
(٥٣) الطبقات الكبرى، ط. دار صادر، بيروت ١٣٧٦ هـ.

السفاريني: محمد بن أحمد النابلسي الحنبلي (ت ١١٨٨هـ).
(٥٤) شرح ثلاثيات مسند أحمد، ط ٢، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٩١هـ.

السمهودي: علي بن عبدالله (ت ٩١١هـ).
(٥٥) وفاء الوفا، مطبعة الآداب والمؤيد، مصر ١٣٢٦هـ.

ابن سيد الناس: أبو الفتح محمد بن محمد اليعمري (ت ٧٣٤هـ).
(٥٦) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، مكتبة القدس ١٣٥٦هـ.

السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر: (٩١١هـ).
(٥٧) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، نشر محمد أمين دمج، بيروت (دون تاريخ).
(٥٨) الخصائص الكبرى، ط. مطبعة المدني، مصر.
(٥٩) زهر الربا على المجتبى للنسائي، المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٤٨هـ.

الشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد (ت ٧٩٠هـ).
(٦٠) الاعتصام، نشر دار المعرفة (دون تاريخ).

الشافعي: أبو عبدالله محمد بن إدريس المطلبي (ت ٢٠٤هـ)

(٦١) الأم، نشر دار الشعب، مصر ١٣٨٨هـ.

الشوكاني: محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ).

(٦٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في فن التفسير، ط ٢، مطبعة الحلبي، مصر ١٣٨٣هـ.

(٦٣) نيل الأوطار، ط. مصطفى البابي الحلبي، مصر.

الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ).

(٦٤) المعجم الكبير، ط١، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي، نشر وزارة الأوقاف العراقية.

(٦٥) المعجم الصغير، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، دار النصر للطباعة، القاهرة ١٣٨٨هـ (١٩٦٨)..

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ).

(٦٦) تاريخ الرسل والملوك، ط. المطبعة الحسينية بمصر، و ط. دار المعارف بمصر، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٩٦١م.

(٦٧) تفسير (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، ط ٣، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٨٨ هـ، وأحيانا ط. محمود شاكر وأحمد شاكر، دار المعارف بمصر.

الطحاوي: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة (ت ٣٢١هـ).

(٦٨) شرح معاني الآثار، مطبعة الأنوار المحمدية، تحقيق محمد سيد جاد الحق، القاهرة ١٣٨٧هـ (١٩٦٨م).

ابن عبدالبر: أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر (ت٤٦٣هـ).

(٦٩) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (بحاشية الإصابة)، مطبعة مصطفى محمد، مصر.

عبدالرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١ هـ).

(٧٠) المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. ط ١، دار القلم، بيروت ١٣٩٠ هـ.

عبدالله بن المبارك (ت ١٨١ هـ).

(٧١) كتاب الجهاد، تحقيق الدكتور نزيه حماد، دار النور، بيروت ١٣٩١ هـ.

أبو عبيد: القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ).

(٧٢) الأموال، تحقيق محمد خليل هراس ط ٢، دار الفكر، القاهرة ١٣٩٥ هـ، وأحيانا تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، مصر.

ابن عساكر: علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت ٥٧١ هـ).

(٧٣) تاريخ دمشق، نشر المجمع العلمي العربي بدمشق، ومنه مخطوطة مصورة في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

العليمي: أحمد محمد.

(٧٤) مرويات غزوة بدر، ط ١، نشر مكتبة طيبة بالمدينة المنورة ١٤٠٠ هـ.

العياشي: إبراهيم بن علي.

(٧٥) المدينة بين الماضي والحاضر، ط ١، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ١٣٩٢ هـ

عياض بن موسى بن عياض السبتي (٥٤٤ هـ).

(٧٦) ترتيب المدارك، نشر وزارة الأوقاف المغربية

الفرياني: محمد بن يوسف (ت٢١٢هـ).
(٧٧) دلائل النبوة مما كان ﷺ يدعو في الشيء القليل من الطعام فيحصل فيه البركة، مخطوطة في دار الكتب الظاهرية، السيرة ٢٧ (ق١ - ١٧).

الفسوي: يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧هـ).
(٧٨) المعرفة والتأريخ، ط١، تحقيق أكرم العمري، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٣٩٤هـ.

فؤاد حمزة:
(٧٩) قلب جزيرة العرب.

الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ).
(٨٠) المغانم المطابة في معالم طابة، ط١، دار اليمامة ١٣٨٩هـ.
(٨١) القاموس المحيط د طبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٧١هـ

الفيومي: أحمد بن محمد بن علي المقرئ (ت ٧٧٠هـ).
(٨٢) المصباح المنير، ط. دار الكتب العلمية.

ابن قتيبة: أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ).
(٨٣) المعارف، ط٢، دار إحياء التراث، بيروت ١٣٩٠هـ.

ابن قدامة المقدسي: موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد (ت ٦٢٠هـ).
(٨٤) المغني، ط. المكتبة الحديثة بالرياض

القسطلاني: أحمد بن محمد (ت ٩٢٣هـ).

obeikandl.com

(٨٥) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، مع شرح الزرقاني، بيروت ١٣٩٣هـ.

القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ).

(٨٦) قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ط١، تحقيق إبراهيم الأبياري، مطبعة السعادة، مصر ١٣٨٣هـ.

ابن القيم: أبو عبدالله محمد (ت ٧٥١هـ).

(٨٧) زاد المعاد في هدي خير العباد، بعناية عبدالرءوف طه، ط١، مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٩٠هـ، وأحيانا ط٢، تحقيق الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠١هـ.

ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ).

(٨٨) التفسير، ط. دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر، وأحيانا ط٣، مطبعة الاستقامة، مصر ١٣٧٣هـ.

(٨٩) البداية والنهاية، ط١.

(٩٠) اختصار علوم الحديث، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط مصر.

ابن الكلبي: أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤هـ).

(٩١) الأصنام، تحقيق أحمد زكي، نشر دار الكتب المصرية ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م).

مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ).

(٩٢) الموطأ (بشرح الزرقاني) مصر ١٣٥٥هـ.

ابن ماجه: أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ).

(٩٣) سنن، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ط. عيسى البابي الحلبي، القاهرة (دون تاريخ).

المباركفوري: أبو العلاء محمد بن عبدالرحمن (ت١٣٥٣هـ).
(٩٤) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، ط. مصر.

محمد حميد الله
(٩٥) مجموعة الوثائق السياسية، ط. مصر

محمد زكريا الكاندهلوي:
(٩٦) أوجز المسالك إلى موطأ مالك، ط ٢، دار الفكر، بيروت ١٣٢٩هـ.

محمد شمس الحق العظيم آبادي.
(٩٧) عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الكتاب العربي، بيروت.

محمود شيت خطاب.
(٩٨) الرسول القائد، ط. مصر

المزي: جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبدالرحمن (ت٧٤٢هـ).
(٩٩) تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، نشر الدار القيمة، بومباي ١٣٨٤هـ.

مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ).
(١٠٠) الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ط١، عيسى البابي الحلبي، مصر ١٣٧٤هـ.

المنذري.
(١٠١) مختصر صحيح مسلم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط. المكتب الإسلامي بيروت.

النسائي.

(١٠٢) السنن الكبرى، مخطوطة مصورة بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. والجزء الأول نشر بتحقيق عبدالصمد شرف الدين، الهند ١٣٩١هـ.

(١٠٣) المجتبى، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت٦٧٦هـ).

(١٠٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج.

(١٠٥) المجموع شرح المهذب، مكتبة الإرشاد، جدة (بدون تاريخ).

النويري: شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٣هـ).

(١٠٦) نهاية الأرب في فنون الأدب، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٤٦هـ.

ابن هشام: أبو محمد عبدالملك بن هشام الحميري (ت ٢١٨هـ).

(١٠٧) السيرة النبوية، ط. محمد محيي الدين عبدالحميد، وأحيانا ط٢، تحقيق السقا والأبياري وشلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٧٥هـ، وأحيانا بتحقيق محمد خليل هراس، ط. مكتبة الجمهورية بمصر

الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ).

(١٠٨) كشف الأستار عن زوائد البزار، ط١، مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٩هـ.

(١٠٩) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ط. مصر

(١١٠) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، ط. المطبعة السلفية.

(١١١) مجمع البحرين في زوائد المعجمين، للطبراني، مخطوطة مصورة

بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم ٧٦، ٧٩.

(١١٢) المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي، مخطوطة مصورة بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

الواقدي: محمد بن عمر (ت ٢٠٧ هـ).

(١١٣) مغازي: تحقيق مارسدن جونس تصوير مؤسسة الأعلمي، بيروت (دون تاريخ).

ياقوت

(١١٤) معجم البلدان، ط. بيروت.

يحيى بن معين:

(١١٥) التاريخ، ط١، تحقيق أحمد نور سيف، نشر مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٣٩٩ هـ.

اليعقوبي:

(١١٦) تاريخ، دار صادر، بيروت ١٣٧٩ هـ.

أبو يعلى الموصلي: أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي (ت٣٠٧ هـ).

(١١٧) مسند، مخطوطة مصورة بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

*****

obeikandl.com

ثبت المصادر والمراجع للفصل الرابع

القرآن الكريم:

- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، نشر دار المعرفة، بيروت.
- الأدب المفرد، للبخاري، ط٢، نشر عالم الكتب ـ بيروت ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥م).
- إرواء الغليل، للألباني، ط١، نشر المكتب الإسلامي، بيروت - ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩م).
- الله يتجلى في عصر العلم.
- إعجاز القرآن، لأبي بكر الباقلاني (طبع بحاشية الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي).
- أعلام الحديث، للخطابي، نشر مركز البحوث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.
- الإنسان وقواه الخفية، لكولن ولسن.
- البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق الدكتور أحمد أبو ملحم والدكتور علي نجيب عطوي وآخرين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت -١٤٠٥ هـ (١٩٨٥م).
- الترغيب والترهيب، للمنذري، بعناية محمد مصطفى عمارة، نشر دار الفكر، بيروت ١٤٠١ هـ (١٩٨١م).
- تفسير ابن أبي حاتم (مخطوط).
- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ط٣، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- تفسير ابن كثير، بتصحيح خليل الميس، نشر دار القلم، بيروت.

obeikandl.com

- الدر المنثور، للسيوطي، نشر محمد أمين دمج - بيروت.
- الرسول في مكة، لأكرم العمري.
- الروض الأنف، للسهيلي، تحقيق عبدالرحمن الوكيل، نشر دار الكتب الحديثة.
- زاد المعاد، لابن القيم.
- سنن أبي داود، بعناية عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، دار الحديث، بيروت - ١٣٨٨ هـ (١٩٦٩م).
- سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- سنن الدارمي، تحقيق محمد أحمد دهمان، مطبعة الاعتدال، دمشق - ١٣٤٩هـ.
- السنن الكبرى، للبيهقي، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند - ١٣٤٤هـ.
- سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، نشر دار الفكر.
- سنن النسائي (المجتبى) ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م).
- سيرة ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر - ١٣٧٥هـ.
- سيرة الرسول، لمحمد عزة دروزة، بعناية عبدالله بن إبراهيم الأنصاري - قطر
- سيرة الرسول في تصورات الغربيين، لجوستاف بفانموللر ترجمة د. محمود حمدي زقزوق.
- صحيح البخاري، نشر المكتبة الإسلامية باستانبول.

- صحيح سنن ابن ماجة، للألباني، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- صحيح سنن الترمذي، للألباني، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- صحيح مسلم، ط. محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، مصر - ١٩٥٦م.
- طبقات ابن سعد، ٨ أجزاء، ط. دار بيروت ودار صادر، بيروت - ١٩٥٨م.
- العلم يدعو للإيمان، لكريسي موريسون، نشرة دار القلم، بيروت - ١٩٨٦م.
- كشف الأستار في زوائد مسند البزار، للهيثمي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، نشر مؤسسة الرسالة.
- الفتاوى، لابن تيمية، ١٣ مجلد، ط١، المطبعة الخيرية بالقاهرة - ١٣٢٩هـ.
- فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ط. المطبعة الخيرية، القاهرة (١٣١٩ - ١٣٢٩هـ).
- في طريق الميثولوجية عند العرب، لمحمود سليم الحوت، دار النهضة للنشر - بيروت ١٩٧٩م.
- مجمع البحرين في زوائد المعجمين، للهيثمي (مخطوط).
- مجمع الزوائد، للهيثمي، ط. مصر.
- مختصر الشمائل المحمدية للترمذي، للألباني، ط١، نشر المكتبة الإسلامية - الأردن - ١٤٠٥هـ.
- المستدرك، للحاكم النيسابوري، ط. حيدر آباد الدكن بالهند - ١٣٤١هـ.
- مصنف عبدالرزاق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط١ دار القلم، بيروت - ١٣٩٠هـ.

- مناقب عمر، لابن الجوزي، تحقيق دكتورة زينب إبراهيم القاروط، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢م).
- موارد الظمآن إلى زائد ابن حبان، للهيثمي، تحقيق محمد عبدالرزاق حمزة، نشر دار الكتب العلمية، بيروت..
- النبوات، لابن تيمية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢م).

obeikandl.com